الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

"السنة الثلاثون" العدد: "1468" 2015/12/13م - 2 ربيع الأول1437هـ

24 صفحة

25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

ملف خاص عن الأديب الراحل باسم عبدو

طه حسين.. رحلة حياة — الأديب حسن. م. يوسف عضو شرف اتحاد الكتاب العرب — 12

11

الثقافة بين الجمود والجحود — 13

لوحة للفنان التشكيلي د. عبد المنان شما

الافتتاحية — د.نضال الصالح

هذا الـ «باسم»

ربّما هي عشرون.. ربّما أكثر، أعني السنوات التي مضت على معرفتي بالراحل باسم عبدو قاصاً قبل أن أتعرّف إليه واقعاً في اجتماع لجمعية القصة والرواية في الاتحاد قبل أن يستقرّ أمر عضويتي في جمعية النقد الأدبيّ قبل نحو خمس عشرة سنة.

قرأت باسم عبدو قاصاً مطلع التسعينيات، ولطالما تساءلت كلّما قرأت جديداً له: أيّ حزن شفيف يسكن روح هذا القاصّ وهو يمارس فعل الكتابة! لكأنّ قهراً عمره عشرات السنين، بل مئات، بل غير ألف، يقيم في دمه، أو أنّ السماء شاءت أن يولد معه عندما شاءت أن يكون، فجاءت نصوصه معذّبة بذلك الحزن كله عن عالم الفقراء، والكادحين، والمتناهين في ضآلتهم الطبقية، وبذلك القهر عن عالم ملوّث بالقتلة واقعاً لا مجازاً فحسب، لأنّ فعل القتل لا يعني سفكاً للدماء فحسب، بل، أيضاً، سفكاً لحقّ الإنسان في حياة كريمة، ومصفّاة من وطأة الحاجة، وطاهرة من دنس الاستغلال.

من «الأخمص الخشبيّ»، و«وجه وقمر»، و«الصفعة»، مجموعات باسم الثلاث الأولى، تعرّفت إلى القاصّ باسم عبدو، وفي جمعية القصّة والرواية التقيت به أول مرة، فكان سلامٌ، وبعض كلام، وبين السلام والكلام تلمّستُ أولى العلامات الفارقة في باسم عبدو الإنسان، ثمّ كان غير لقاء في غير اجتماع، ثم كان أن مضيت إلى جمعية النقد الأدبيّ، وصار من الندرة أن نلتقي إلا مصادفة في نشاط ثقافيّ هنا، وآخر هناك.

ونحو منتصف العقد الفائت، وما إن تلقيت دعوة من صحيفة «النور» للكتابة فيها، الصحيفة التي يصدرها الحزب الذي ينتمي باسم عبدو إليه، ويؤمن به، وبين زيارة وأخرى لدمشق، ومن خلالها إلى الصحيفة، حتى تجلّى لي باسم كما عرفته في كتاباته، أي مؤرقاً بما يكبح جموح القهر على غير مستوى، ولطالما كنت أقول له وأنا أودّعه عائداً إلى مدينتي حلب: سيقتلك لهاثك وراء هذه المخلوقة «العدالة»! وكان يضحك ملء جسده، حتى تكاد الأرض ترتج تحت قدميه.

العدالة، تلك هي الجذر في معظم ما كتب باسم عبدو في مجموعاته الثلاث التي ذكرت آنفاً، وفي مجموعاته التي تلت: «دائرة الضوء»، و«لايموت الأقحوان»، و«تورق ذاكرتي»، ثم في مؤلفاته الروائية: «ألوان قزحية»، و«جسر الموت»، و«احتراق الضباب»، و«زهرة في الرمال»، وفي الكثير الكثير من المقالات التي كتب في غير صحيفة ومجلة منذ بداية التسعينيات حتى رحيله.

قبل نحو أسبوعين من اليوم الذي جرت فيه انتخابات الدورة الحالية للاتحاد التقيت باسم عبدو مرة واحدة، ثم كان ما كان بعد أن كتب باسم على صفحته في موقع التواصل الاجتماعي كلاماً يخصني، واكتفيت، بعد قراءته، بابتسامة، ثم جمعنا المكتب التنفيذي معاً، ثمّ اجتماعاً إثر آخر بدا باسم شخصاً آخر غير ذاك الذي أخذته الانتخابات إليه، ثمّ، وقبل أيام من رحيله، وفيما يشبه المكاشفة، قال لي ما سيبقى مستتراً في القصيّ من أعماقي ما حييت، وما سأكتفي ببعض بعضه هنا والآن، أعني أنّ الحقيقة لا يمكن حجبها بغربال، شأن الضوء تماماً، وأنّه وأنا، وأعضاء المكتب التنفيذي جميعاً، إمّا أن نكون لائقين بمجد الانتماء إلى الثقافة المعنية بقيم الحقّ والخير والجمال، أو نكون.

لا أملك الآن، وأنا أكتب مفتتحاً لهذا الملفّ الخاص بالراحل العزيز، غير القول إنّنا، بفقد باسم عبدو، فقدنا مثقفاً وطنياً بامتياز، وزميلاً شفيف الروح بامتياز، وإنّ أبا الشفيع الذي غادرنا جسداً سيبقى مقيماً بيننا، بأدبه ومقالاته، وروحه التي لا بدّ ستظلّ، من عليائها، تهتف باسم العدالة.. العدالة التي أضنت روحه وهو يبحث عنها منذ كان طفلاً في قريته «خربا» حتى آخر شهقة له في هذه الفانية.. العاجلة.. الزيف.

باسم الإنسان

• د. فايز عز الدين

هي لحظةٌ تفصلنا عما نكون لتدخلنا في كونٍ آخر... كل فلسفة للحياة نبدعها، أو يتم ابتداعنا فيها تحتار أمام الموت حين نمتطي جواده مكرهين، ونخرج من فضاء الوجود الحي لسكن في الأزل هنالك مع من تقاطروا على دروب الأبدية، والتاريخ، ومنهم من لم يبقَ في الذاكرة الحيّة، ومنهم من بقي.

باسم.... أيها الإنسان الذي عشنا معه روحاً من الزمان، في أصعب ظروف الوطن والوطنية، وتجاذبنا معه في مناهل الإبـداع بين الوعي، والموهبة لنرى فيه ما يمكن أن يدلل على قيمة زميله في نفسه، وكيف زرع قيمته الدافئة في قلب الآخر، ليغدو صديقاً له، ومحبّاً.

ومع ما قيل عن المؤانسة بأنها تحجب العظمة، كنّا وأنت بيننا نرتاح إليك كاتباً، وأديباً، كما نرتاح فيك إلى رقّة الخفق المحب، ورفقة الصديق الـودود الـذي في حضورك شغوف بك وفي غيابك أمينٌ عليك. نعم أيها الراحل الغالي كنتَ تنثر بيننا عطر الياسمين لتنعش ذواتنا بفيح الشآم التي افتقدتك في الحضور الملموس لتحفر اسمك على لوحة الخلود فيها.

هو الموت يا صديقي لا يحاورنا حين يأتي، لكنه لا يستطيع أن يمحو ما تركناه من نقوشنا على شغاف قلوب الاحياء... هو الموت قد ينتزعنا من البقاء، لكننا نفرض بما تركناه أن يكون لنا بقاء من لونٍ يصبح فيه البقاء خلوداً في ذاكرة الأجيال، وعلى وجه تقلّب الأحوال طالما أننا نتجسّد بفضاء إبداعي يعبر أثره دوماً حقب الوقت، ويبشّر دوماً بفضائل الصادقين.

أيها الراحل الغالي! تستوكف المقل برهة الخبر الفاجعة، وتستوحش الصور في الـذات الهاجعة والموت تـدور رحاه وتدور حتى يتم له ما جاء لأجله، وما ابتغاه، ونحن نحوم كأسراب الحمام نجوب حمأة الفراق، ونشتعل بالحسرة حيث نفتح دفاتر العيش معاً، ونتذاكر في حضرة الوجع بحصاد من فارقناه، وبماذا حملّنا قبل أن نأتي لحمله على آلة حدباء. صحيح أنك انتقلت إلى ضفاف الحضور المعنوي، وتحولت إلى قيمة فينا تنير لنا دروب الخلق والإبداع، وستعرّش على جـدران الذاكرة كالزهر الدمشقي... لكن الصحيح كذلك أننا سنكون الأوفياء حين نفتح لك الذاكرة، ولن ننسى من أنت، ومن كنت فينا، وكيف سنبقى معاً؛ ولو بين عالمين ينقطع البصر بينهما، فإذا البصيرة توصلهما.

ستنعم في جوار ربك، والصديقين، وتدوم في خلود الذكرى، ووفاء المحبّين.

إليك أوجه شحنة حزني

• د. عبد الله الشاهر

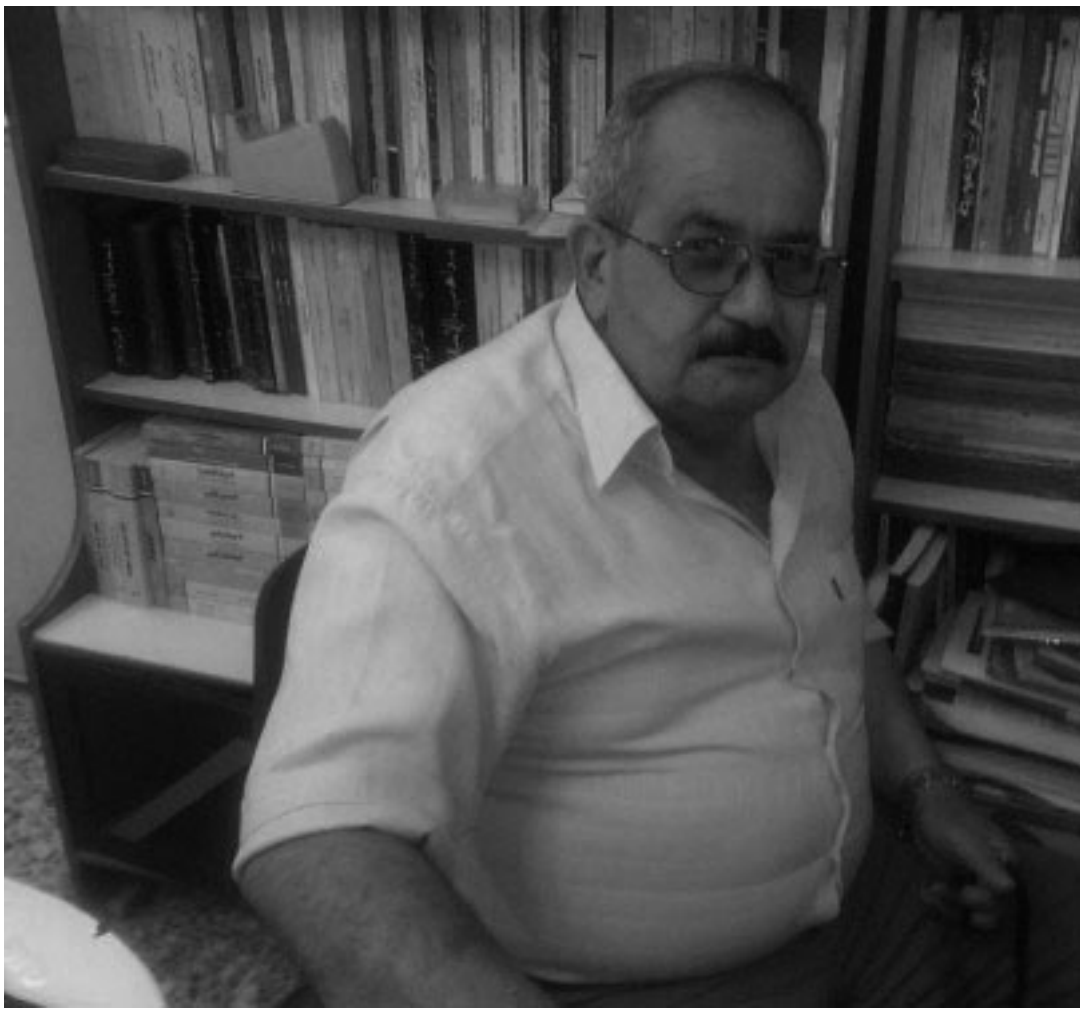

إليك أوجه شحنة حزني وأنت تغادر محطات عمرك دون وداع...

إليك أعيد شريط الحياة الذي غادرته فكان الفراق...

إليك وفاجعة النبأ الذي أشاع فينا نشيج البعاد يجلجل صداه على مسامع لا وعينا.

أصدقاً رحلت.... وآثرت الرحيل بصمت بعيداً عن صخب هذا الوجود، أم أنك اخترت الانسحاب من وجع هدهد مفارق عمرك المشبع بمحطات أرّقها برد السنين وأنت العصامي الذي أضنى الحياة كدحاً وأغناها عطاءً أحقاً تعبت، أراك وعبر السنين تضيف معنى جديداً وتخلق من قسوتها وروداً وعطراً فماذا تبدل وأنت الذي لم يشك يوماً ولم يأبه بكل الظروف.

زرعت حياتك حمائم عشق برغم التشظي وكنت وفياً لها، فمن شذرات حلمك جمعت المحبين المخلصين فأظهرت نبل الوفاء، ارتقيت فكنت الأمين على هذا الوفاء عبر السنين...

أبا شفيع أيها الراحل عنّا لم تزل بيننا بمحياك الجميل، وإطلالتك التي تفيض وداً، أتراك تريد اختبار محبيك... أم أن روحك تاقت إلى بارئها فاخترت الرحيل لم يزل أدبك الجميل يثيرفينا حماسة الانحياز للمقهورين الذين قست عليهم الحياة، ولم تزل ذاكرتك أيها المحب الذي لا يعرف الحقد تورق شوقاً وتوقاً إلى مستقبل أفضل للذين سمّرت وجوههم سطوة الشمس الحارقة وهم يعلنون دائماً أن الحياة انتصار....

أتراك انتصرت بذاكرتهم... أم أنك تصالحت مع روحك لتغادر جسدك نحو الضياء.... ماذا أقول فيك وطيفك لما يزل بيننا يشعرنا بحرارة اللقاء، الذي غدا حلماً.....

بماذا تراني أخاطبك وأنت الذي اخترت فضاءً أرحب من فضائنا، وعالماً أنقى من عالمنا، وفكراً أشمل من فكرنا، وصمتاً أبلغ من صمتنا...

أم تراك وأنت الذي قاوم الجهل متنقلاً بين الصفوف لتزرع العلم نوراً في الأجيال أنهكك التعب... وخارت قواك...

أم تراك وأنت تومض إبداعاً سئمت من مفردات اللغة التي احتوت ومضات إبداعك لتختار معنى جديداً.

أم أن الصحافة التي كابدت فيها من هموم المتعبين جعلتك تنسحب من مشهد الحياة دون ضجيج. أم ترى أن الليالي الحالكات التي حملت ظلام الفكر والجهل والقتل والتدمير جعلتك توجع ذاتك، وأنت الوطني الغيور ففاضت روحك توقاً إلى اللا وجود...

أيها الصديق الذي حجب عنا ألق محياه.... سيبقى ذكرك بيننا، وسيبقى لجهدك الذي بذلت أثر الياسمين عطراً يفوح بيننا...

ووعداً أن يبقى الوطن في ذاتنا قيمة لا تعلوها قيمة، وستهزم الظلاميين الذين أشاعوا الدمار فينا... لتضيء سورية عزة وكرامة وبناءً ولتكن روحك الطاهرة ناصعة وضاءة في عالم الضياء....

أحزان الرحيل

• علي المزعل

يا إلهي..... كم ودعنا من الأحبة والأصدقاء؟

بعضهم أكلتهم الحرب الظالمة التي تشن على سورية الحبيبة، وبعضهم ضاع في أعماق البحار، ومن وصل منهم إلى شواطئ الغربة القاتلة فقد دخل في موت آخر أشد قسوة من موت الجسد.

وبعضهم اختار القدر ربما ليخلصه من عذابات الدنيا الفانية.

واليوم نودع الزميل باسم صديقاً ومبدعاً وطنياً غيوراً

عرفت المرحوم باسم عبدو مبدعاً قبل أن أعرفه صديقاً..... كان ذلك في منتصف الثمانينيات تقريباً.... يومها وقعت بين يدي رواية من الحجم المتوسط عنوانها كما أظن «قوس قزح» وقد حملت في غلافها وإخراجها وبنيتها الفنية ملامح التجارب الأولى للمبدعين... إلا أنها حملت في طياتها وعياً وطنياً متقدماً.. وتمجيداً للفلاحين الذين يباركون الحقول بمحاريثهم وأرواحهم الندية، ورصداً دقيقاً لنضالات الفقراء في مواجهة الإقطاع وأعوانه عبر فضاء الريف قبل ما يحمله من البساطة والعفوية وصدق الانتماء وقداسة التراب.

وحين عرفته بعد حين، رأيت فيه ملامح الفلاحين البسطاء الذين تحدث عنهم، وصلابة المناضلين الذين حملوا أحلام أهلهم، وآمنوا بمستقبل أوطانهم وحتمية الانتصار في معارك البناء والتقدم.

على أن هذه الأحلام وهذه الهواجس ظلت تلازمه حتى أيامه الأخيرة... وقد كتب الكثير حول هموم الوطن وقضاياه على نحو يعكس التزامه المطلق بمشروعه الوطني والتقدمي الذي عمل لأجله سياسياً ومبدعاً.

وقد جاء كل ذلك في إيهاب الإنسان المتواضع الممتلئ بالأدمية والصدق والاحترام.... وما رافقه أحد من الزملاء يوماً إلا وقدمه على نفسه على نحو يعكس نبلاً وثقةً وبعداً إنسانياً قلَّ أن نجده عند الكثير من المبدعين الذين تضخمت ذراتهم وانحرف سلوكهم فقتلوا أنفسهم وإبداعهم وأصدقاءهم.

وحين نفتقد هذا الراحل العزيز فإنما نفتقد أخاً وصديقاً ووطنياً التزم طوال حياته بقضايا الناس وهمومهم...

وإذا نودعه اليوم لا يسعنا إلا أن نقول:

رحم الله فقيدنا الغالي، وأدخله فسيح جناته، وألهم أهله وأصدقاءه الصبر والسلوان.

وبعد يا أخي باسم... ربما ستجد في العالم الآخر.. محبة وأنساً أكثر مما رأيته في هذا العالم المتوحش.

وداعاً وإلى فسيح الجنان...

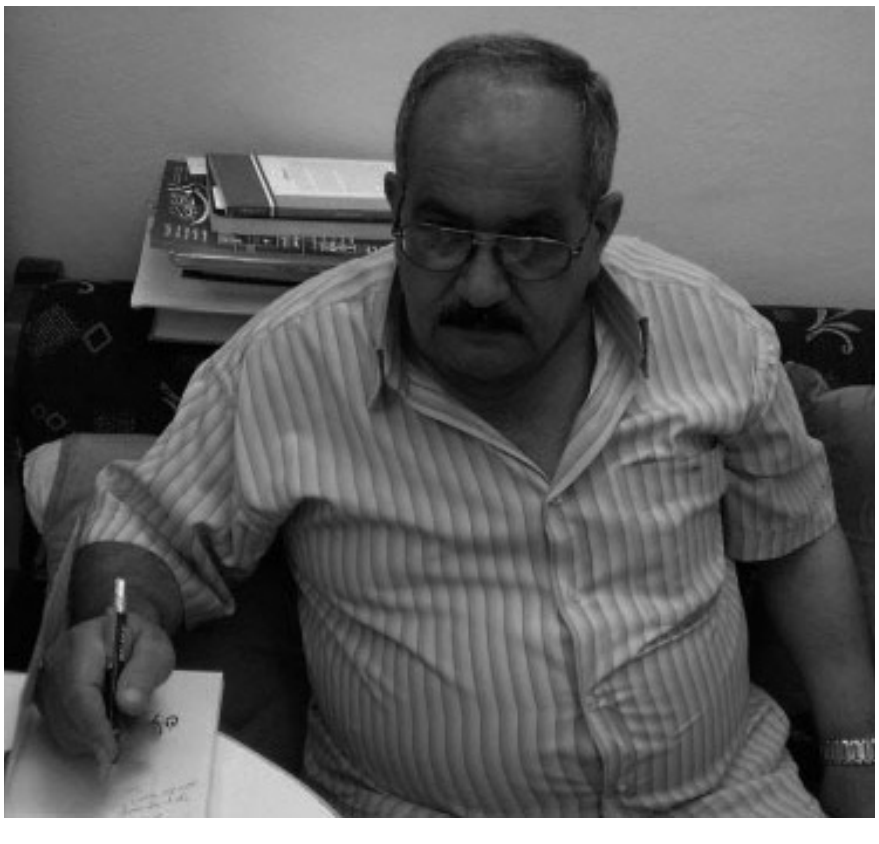

أبا الشفيع سلاماً

• مالك صقور

تنفسَّ الموت في وجهي هذه المرّة.

تنفسَّ بلؤم كعادته، وخطف غالياً على قلبي- هو أبو الشفيع باسم عبدو.

تنفسّ الموت في وجهي، والموت.. هو الحقيقة الوحيدة على هذي الأرض. لكنها حقيقة بغيضة، ولا مفرَّ منها...

ولكم يصعب علي الآن، أن أكتب عنه، فالقلم يقف حروناً، كأن لا عهد له بالكتابة. وكيف يكتب عن رحيلِ أبدي لزميل، ورفيق وصديق، مثل باسم. الذي عرفته، وعايشته، وخبرته..

تعارفنا منذ ربع قرن في جمعية القصة والرواية. ومنذ ربع قرن وأنا أتابع ما يكتب في القصة، والرواية، والنقد، والصحافة، والسياسة.

شاركته في ندوات أدبية مختلفة، في دمشق، وفي أمسيات قصصية في بعض المحافظات، وكتبنا معاً في جريدة (النور)، التي كان يرأس تحريرها.

ومنذ خمس سنوات خلت، وهو رفيقي أشاركه المكتب، وخمس سنوات وشهرين وأنا أجلس على يمينه في جلسات المكتب التنفيذي..

نعم: عرفته زميلاً جاداً مجتهداً،

وخبرته صديقاً صدوقاً وفياً،

وعرفت فيه الرفيق الأممي - الشيوعي، الرفيق المؤمن بمبدئه، الرفيق المبدأ الذي لا يساوم ولا يقايض، ولا يخون.

وهذه سمة من سمات المناضلين الذين تفانوا في سبيل المبدأ والقضية، والمصلحة العامة.

كان باسم عبدو: القاص، والروائي، والصحفي، والسياسي، ملتزماً بقضية الوطن، ووجع الوطن، وتراب الوطن، وكان مشغولاً بالقضايا الطبقية والوطنية معاً.. ولكم كان يتألم وهو يرى إلى الدمار والخراب، والقتل والفتك، والسبي والاغتصاب، ولقد عبّر عن ذلك في كل ما كتب، سواء في جريدة النور، أو في قصصه أو رواياته.

أبا الشفيع، إننا محزونون لفراقك، ولقد آلمنا التحاقك بالرفيق الأعلى، هكذا بسرعة، دون وداع، وليس من عادتك.!!

والآن، كلي أمل، أن يتابع الرفاق خطاك، كي نحس أنك مازلت حياً في قلوبنا، وستبقى معنا، بأفكارك، وكتبك، وسنترحم عليك كلما تصفحنا "النور".

أبا الشفيع سلاماً.

فقدناك أبا الشفيع

• د. حسين جمعة

قَدْ هَزَّني نَعْيٌ شَقيٌّ جانِ
حَمَل المهابَةَ جال بالأَحزانِ
نادى بصَوْتٍ مُرْجَفٍ ومُعَذَّبٍ
يفري القلوب بشَهْقةِ اللَّهْفَانِ
ومَضَى يُصَرّفُ لوْعَةً فيّاضَةً
إذ هاج دمعاً بالبكا الهَتَّانِ
أَصْلى العزاءَ بباسمٍ في حُرْقةٍ
نبأٌ مُريعٌ فاض بالأَجْفَانِ
ما كُنْتُ مرتقباً ليوم صادمٍ
يختارُ حبّاً فاز بالأَقْرانِ
بَدَر النفوس محبَّةً ووداعَةً
مَهَر الكتابةَ زاهيَ الأَفنانِ
بالأَمْسِ كانَ أَبُو الشَّفيعُ مُهلِّلاً
واليوم صار بحُرْمَةِ الأَكْفَانِ
كان الحريصَ على الصَّديقِ كرامةً
كانَ المُنَدَّى بالصَّفا المِرْنانِ
حَفِظَ الأمانةَ حاضراً أو غائباً
صان الفضائلَ في رُبى الأَوْطانِ
يَضَعُ القضايا في مَدَارِ عادلٍ
فيحوزُ قُرْباً بادي الأَرْكانِ
كانَ الأبيَّ إذا الرفاقُ تلوّنوا
يجلو سناءَ الرَّأْي بالبُرْهَانِ
كُنَّا نواجهُ فِتْنةً ملعونَةً
ماجَتْ بلبِّ عِصَابةٍ بطعانِ
فخرت بإرهابٍ شنيعٍ فاجرٍ
هتَفَتْ بقَتْلٍ وانْتَشَتْ بَزَوانِ
غَصَبَتْ حرائرَ في الديار شريفةً
وسَبَت نساءً جُرِّرت بهَوَانِ
داسَتْ مُروءاتِ الرّجالِ جهالةً
نَبَشَتْ قبوراً؛ أَفْسدت بمكانِ
لم تنكسر - يا صاحبي - بجريمةٍ
هَتَكَتْ مبادئَ رُسِّخَتْ بزمانِ
يا باسمٌ يا صِنْو ذِكْرٍ دائمٍ
إني أنا الملتاعُ في الأكوانِ
سَأظل بعدك باكياً بمَرارَةٍ
زَمَنَ الصداقة ضمّنا بقرانِ
إنْ كان يومُكَ قد أَتَى بأَوانه
وجَرَى برَهْنِ الحقّ والدَّيَّانِ
عَهْدي إليكَ بأن أَعيشَ مجالداً
للغَدْرِ، والإذلال والخِذْلانِ
كُلُّ ابنِ أُنْثَى مُوْدَعٌ بعنايةٍ
يَحْيا لوقتٍ؛ يَرْتقي بثَوَانِ

صباح الاثنين (٢٠١٥/١١/٣٠م)

باسم عبدو وقضايا الإنسان

• زبير سلطان

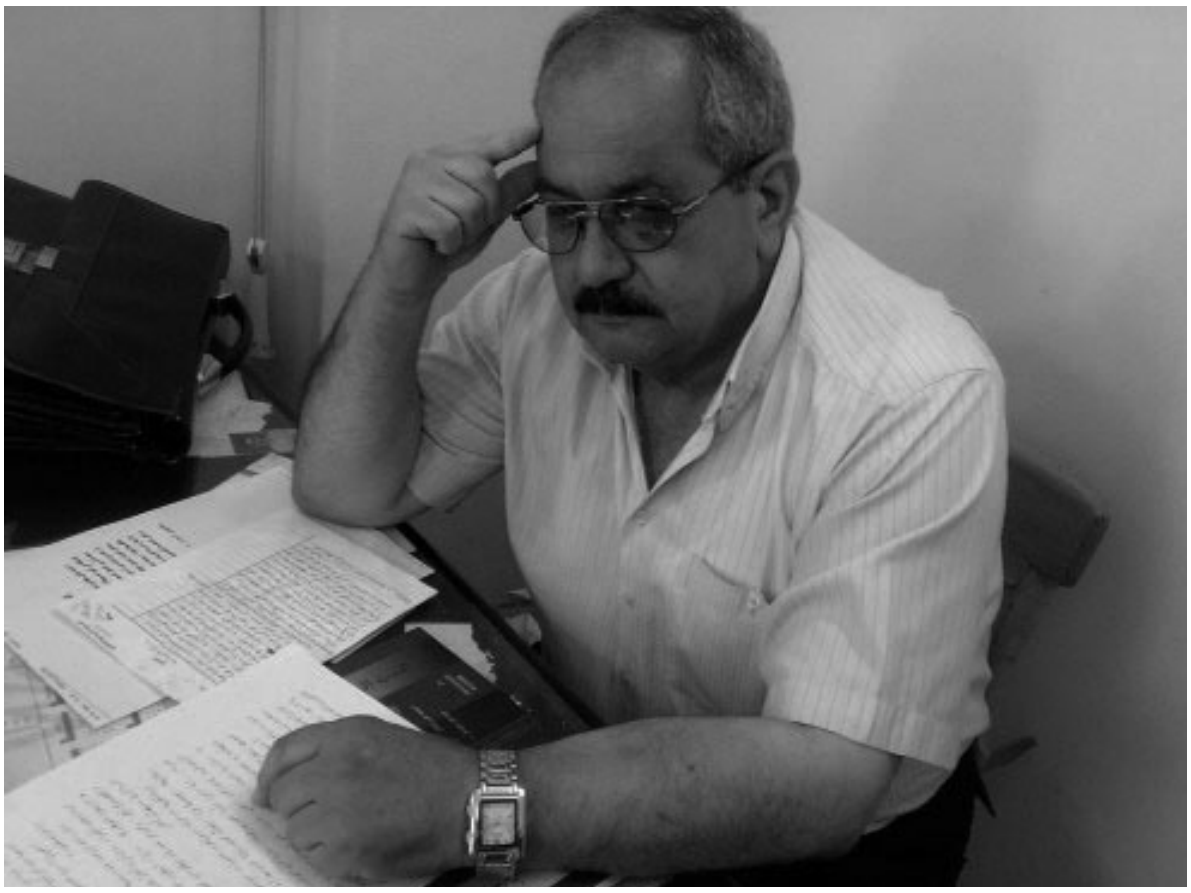

(كل نفس ذائقة الموت) هكذا قال الله تعالى في القرآن الكريم، وهذا ما اعتقد به كل إنسان وجد على الأرض منذ بدء الخليقة وإلى قيام الساعة. ولم يكتب الخلد لأي مخلوق كان. لهذا كان الموت التحدي الأكبر للإنسان، ولم يجد الإنسان مفراً منه إلا الاستسلام له.

وقد نُسجت أساطيرٌ قديمة عن محاولات لبشر بحثوا عن الخلود، وفشلوا في الوصول إليه، ومن أبرز تلك الأساطير ملحمة كلكامش، التي لا تزال أحداثها تتردَّد على ألسنة الأدبـاء والشعراء والباحثين على مختلف مدارسهم ومشاربهم. ولقد تحدثت الأسطورة عن مغامرة كلكامش الشاقة والطويلة، حين خرج من العراق إلى أقصى المعمورة من أجل الحصول على عشبة الخلود، وحين حصل عليها بعد معاناة عظيمة سرقت منه، وعندها علم أن الخلود أمر مستحيل.

وهكذا بحث الإنسان بعد كلكامش عن الخلود بزاوية أخرى، بعد أن استسلم للموت كمصير محتوم لابد منه، فوجد بأن الخلود لن يكون بالجسد، وإنما بما يقدمه من عمل سواء أكان خيراً، فيُحمد عليه، ويثني عليه الناس، وبذلك تبقى ذكراه عطرة يُرددها الأجيال لمئات السنين. لأن العمل الطيب كالعلم النافع، أو الأدب الرفيع، أو ما يقدم من فائدة علمية أو حضارية، أو ما يقوم به من عمل خير يعود بالفائدة للبشرية جمعاء، فذلك هو الخلود. كما أن هناك خلوداً من نوع آخر يتمثل بعمل سيئ يقوم به، ينتج عنه لعنة الناس عليه لأجيال قد تمتد مئات السنين، وما فعله أبو رغال مع أبرهة مثل على ذلك .

وباسم عبدو الأديب والسياسي والصحفي الطيب، الذي ستبقى ذكراه خالدة عطرة على لسان كل من عرفه وقرأ له، لما تحلى به من حب الناس، بعد أن اهتم بهم وبقضاياهم، وخاصة الفقراء والضعفاء منهم. لقد وظف قلمه وعلمه ونضاله من أجل قضاياهم، والاهتمام بشؤونهم، وعمل على رفع الحيف والظلم عنهم.

قبل رحيله بثمان وأربعين ساعة، تناقشت معه عن بعض قضايا الناس في جديدة الفضل، وما يعانون من مشقة وعدم اهتمام، فحثني على ضرورة الكتابة عن تلك القضايا في الجريدة التي يرأسها (النور)، وأثنى على ما كتبت فيها عن الخدمات المفقودة في تلك المنطقة وخاصة الكهرباء والماء والخبز والطرقات وغيرها، ودعاني للكتابة عن الأزمة الخانقة التي يعيشها سكان جديدة عرطوز والفضل من قلة المواصلات وزحمتها، وما يلاقي هؤلاء السكان منها، وخاصة الطلاب والموظفين وأصحاب الحاجات الذين يضطرون لمراجعة الأطباء أو الدوائر الرسمية أو للشراء أو للبيع في مدينة دمشق، فهؤلاء ينتظرون الساعات الطوال الحافلات في الطرقات من البرامكة حتى السومرية حتى يستقلوها ويصلوا إلى غايتهم. فألح عليَّ بأن اكتب بسرعة عن ذلك، وقال : أنه ينتظرني الأسبوع المقبل لاستلامها. ولكن الموت خطفه قبل استلامها.

لقد كانت شؤون الإنسان في دائرة مركز اهتماماته، فحين جئت من دير الـزور، كما جاء الآلاف من سكانها نتيجة الحصار الظالم الذي فرضته داعش عليها، والذي أدى إلى حرمانها من الطعام والكهرباء والمواصلات والوقود والـدواء وكل مستلزمات العيش، تأثر كثيراً، وبدت على قسمات وجهه علامات الحزن والغضب، فطلب مني بضرورة الكتابة عن معاناة هؤلاء المحاصرين من الجوع وانعدام الحياة الكريمة اللائقة، فكتبت، فأفرد صفحات جريدة النور للحديث عن الجوع ومسيرة الآلام التي يعيشها أبناء المدينة من بقي منهم، ومن نزح عن بيته ومدينته إلى المدن السورية، التي تستظل بظلال الدولة السورية، وقد لاقت تلك المقالات ارتياحاً وترحيباً لدى الكثيرين من أبناء محافظة دير الزور. وهكذا وقف باسم عبدو يخبر الدنيا عن المعاناة الشديدة لأبناء دير الزور، ومن شيمته وأخلاقه لم يدر لهم ظهره، بل وقف يطالب بضرورة التخفيف عن معاناتهم، وما يلاقونه من ضنك وشدة في مدينتهم أو في أماكن النزوح.

لم يستقبل يوماً أي زائر له إلا بالبسمة والترحيب والمحبة والعون، لم يتأفف من زواره على كثرتهم، بل يهلل لهم، ويداعبهم، ويقدم لهم العون والمساعدة، فأحبه زملاؤه وكل من عرفه. رحم الله باسم، لقد بقيت أعماله وسلوكياته، وما قدم من أدب وعلم خالدة تقدم للناس أمثولة الرجل الذي أحب الناس، واهتم بهم، فكان الإنسان القريب على القلب والعين.

الرحيل المؤلم!

• محمد راتب الحلاق

ما رأيت كالموت .. قريب منا ونظنه بعيدا .. بل نظن أنه لا يعنينا .. حتى إذا اختطف قريبا آو صديقا عزيزا انتبهنا ... ولكننا سرعان ما نعود إلى النسيان وكأنه لا يتربص بنا عند كل زاوية .. وعند كل منعطف .. إن تفلتنا منه اليوم فإنه يأتينا غدا من حيث لا نحتسب .. ولاسيما في هذه الأيام العجاف التي تكالبت علينا فيها غيلان الشرق والغرب والشمال والجنوب .... وطوبى لمن يغادرون ويتركون ذكرا حسنا أو أثرا مفيدا ... وذكر الفتى عمره الثاني .. طوبى لمن يغادرون وما شبعت منهم الحياة ولا شبعوا من الحياة ولكن القدر. أحبهم واختار لهم أن يرتاحوا مما نحن فيه. نعم يا صديقي يا أبا شفيع لقد ارتحت مما نعاني .. ومما نسمع ونرى .. ويا لهول ما نسمع ونرى .. وإن كان رحيلك المفاجئ قد ترك في القلوب غصصا وفي الأرواح وجعا .. وتركتنا نواجه شذاذ الآفاق الذين جاؤوا من كل فج عميق وغيرعميق .. نعم يا صديقي أفهم سبب رحيلك المفاجئ والمبكر ..إن كان الموت قابلاً للفهم .. إذ لم يستطع وجدانك المرهف أن يحتمل كل هذا القهر وكل هذا التآمر على البسطاء والفقراء الذين تلاعبت بهم مصالح الأمم .. والذين قهرهم الغلاء وحاصرهم العجز ... كيف لا وأنت نصير الفقراء والكادحين .. وأشهد . وأنا الذي شاركتك مسؤولية قيادة اتحاد الكتاب العرب لسنوات. بأنك كنت تنحاز دائما لما فيه مصلحة الزملاء أعضاء الاتحاد .. وكنت المدافع عن حقوقهم .. وكنت النقابي المتفاني في حفظ مؤسسة الاتحاد . وكنا نتعاون معا وجميعا في المكتب التنفيذي في سبيل رفع مستوى الاتحاد من جهة وإعطاء الزملاء كل ما يمكن ليعيشوا بكرامة تليق بهم وهم صفوة المجتمع ... وإن كانت اليد قصيرة والمطالب كثيرة .. وكم كان صوتك يرتفع في جلسات المكتب التنفيذي وجلسات مجلس الاتحاد تعاطفا مع قضية زميل من الزملاء قد تكون ممن لا يعرفه شخصيا. ولا أنسى كيف كنت يا أبا شفيع مناضلا يقرن الفكر بالسلوك ولا أنسى كيف كنت تحمل جريدة النور صباح كل ثلاثاء لتوزعها باليد على الزملاء وأنت رئيس التحرير وعضو المكتب السياسي وعضو المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب وكان يكفيك أن تكلف أحد العاملين بتوزيع الجريدة. رحمك الله يا أبا شفيع فقد تركت برحيلك المؤلم فراغا في قلوب محبيك.

● د.حسن حميد

شـــجرة الخروب!

-1-

الآن،
أذكر تماماً، أن الوقت كان براحاً، وأن الدنيا كانت براحاً أيضاً، وأن النفس كانت قبولاً على الحياة، وليس في الحيا ة سوى الآخرين والمعاني!
آنذاك، وفي عتبات الثمانينيات من القرن العشرين المنصرف، كانت الأحاديث غنية عن الدروب الجديدة، وإن كانت ناحلة، وعن العصافير التي خصّها الله برحابة السماء، وذؤابات الأشجار، وإن كانت بعيدة، وعن الألوان، ولو بدت منحنية على شكل قوس قزح، وعن البحار البعيدة التي سيّجت شطآنها بتلويحات الغياب، وعن فتوة الشعر وغناه، وعن الحصادين وأغانيهم،/ وعن النساء والزهو الأنثوي، وعن المحبة التي لا تصير الحياة من دونها حياة، وعن الأشواق الساهرات من أجل ممر ضيق نحو منحدر يأخذ خطانا، ولو ببطء شديد، إلى المقربة الأبدى من نهر الأردن، لعل الأيدي تبتلّ، أو لعل الحواس تبتل بالمشهد النوراني الساحر!
آنذاك كانت الكتب مملكة الأحلام، وكانت الكتابة شوق الأشواق. وكانت تقريظة أولى لقصيدة أولى تطير بها أرواحنا نحو الأعالي التي نرسمها مطارح لبهجة لم تُر أو تُدرك. وكان كتاب لفّه سطرُ مديح، في آخر الدنيا، يلفُّ لهفتنا حبالاً للتواصل، وكانت قصة واحدة مجللة بالأجراس الضاجة، أو الأحزان العميقة تبعث في نفوسنا. الدوخة المشتهاة!

-2-

آنذاك كانت الليالي أسرّة للأسئلة الحرون، للأسئلة التي تدور بنا وندور بها كيما يصل الواحد منا إلى مرفأ صغير، ولو كان على شكل مغارة تجول فيها الهمسات. آنذاك كان أهل الأدب حيرتنا المديدة، كانوا الكفَّ التي نرى فيها ذوب أرواحنا وهي ترسم خطوطها الأولى كيما نُعلن، أو يُعلن الآخر، عن البدو، أو الدنو، أو تجلي العافية الأولى! لكم كنا نرى في أهل الأدب والفنون دنيا من القلاع المحتشدة بالرواء العميم، لكم تناهبتنا الأحاديث الطوال حول أسياد الغابات الإبداعية: جبرا إبراهيم جبرا، وحنا مينا، وغادة السمان، وعبد الله عبد، وسعيد حورانية، وحسيب كيالي، ويوسف إدريس، وأدونيس، ونجاح العطار، وكوليت خوري، وعبد السلام العجيلي، وسليمان عواد، ومحمد حيدر، وسعيد كفراوي، ونجيب سرور، وأمل دنقل، ويحيى الطاهر عبد الله، وغسان كنفاني، وعلي فودة، وأميل حبيبي، ومحمد خضير، وعلي فهمي خشيم، وعبد الرحمن منيف، وفاتح المدرس، ونزار قباني، وبدوي الجبل، وشفيق جبري، وسلمى الحفار الكزبري، وقمر كيلاني، ومحمد الفيتوري، ومحيي الدين فارس، وسعيد عقل، وأنسي الحاج، وخالد أبو خالد، وإحسان عباس، وغسان مطر، وجوزيف حرب، وغيرهم وغيرهم. لكم أبكتنا جماليات الكتابة، لكم قبلّنا الأسطر شوقاً، ولكم فرحنا! فرح الأطفال بالعصافير وعودة الأمهات، فرح الصبايا بخرائط الجسد الجديدة، فرح الينابيع بالغناء، فرح المروج بالعشب، وفرح الدروب الناحلة بمواقفة العشاق.. حين تعرفنا إلى شوقي بغدادي، وعلي الجندي، وممدوح عدوان، وصميم الشريف، وعادل أبو شنب، ورشاد أبو شاور، ورياض عصمت، وحسن م. يوسف، ووليد معماري، وعبد الإله الرحيل، وعبد النبي حجازي، ووليد مشوح، ويوسف جاد الحق، وأكرم شريم، وحيدر علي، وجلال فاروق الشريف، وغسان الرفاعي، ويوسف سامي اليوسف، ونذير نبعة، وممدوح قشلان، ورشاد قصيباتي، وعلي عقلة عرسان، وسعد الله ونوس، وحيدر حيدر، وأحمد يوسف داوود، ومحمد عمران، وتوفيق حبيب، وسعد صائب، وكمال فوزي الشرابي، وعفيف بهنسي!
يالذلك الفرح البهيج المزيج من الأبوة، والوجد، والشوق، والأدب، والفروسية، والحنين، والمحبة الضافية، يا لعالم الأدب، ويا لعالم الفنون، ويا لملوك الكلام، ويا لكلام الملوك!

-3-

بلى، آنذاك، جاءتني بنت الجيران سعاد، بنت الرابعة عشرة، أم الجديلتين الراقصتين، بصحبة أمها، ومعها لفافة من الورق المخطوط بالحبر الأزرق. قالت لي الأم. سعاد لديها أستاذ (اجتماعيات) من السويداء، يقول إنه يعرفك، وقد أرسل إليك معها رزمة ورق مكتوب، وقد طلب منها أن تراك، قلت: يا مرحبا بأم سعاد، وسعاد وأستاذها، ويا مرحبا بالورق المكتوب أيضاً! ومددت يدي، وقلت لسعاد: هات يا سعاد! فناولتني لفافة الورق المحبّر بالأزرق المضيء.
بلى، كانت الأسطر في اجتماع حول قصة لكاتب لم أكن أعرف اسمه أهو: باسم عبدو! قرأت القصة بفرح، لأن أسطرها الأولى قالت لي صراحة: انتبه، إنني سليلة الموهبة! وكانت سعاد وأمها تراقبان أصابعي التي راحت تتهجّى الأسطر والكلمات، وتراقبان شفتيّ اللتين راحتا تقرآن بهمس كتوم ما كتبه أستاذ الاجتماعيات.
أذكر أنني ختمت القراءة بقولة رضا. قلت: جميل! وهززت رأسي لسعاد وأمها. فابتسمت سعاد فرحاً بأستاذها؛ ابتسمت ابتسامة فاضت عن حدود وجهها، وانكمشت على نفسها، كأنها تريد أن تخبئ هذا السر وتصبغه بأنفاسها وحدها قبل أن يذاع أمام رفيقاتها في حضرة الاستاذ! وفرحت أمها حين قلت لها، ولـ سعاد: هذه هدية! وعنيت القصة، أو لنقل الكتابة، وهذا ما حيّر الأم وابنتها معاً، فليس بين يدي سوى الأوراق، فكيف تكون الأوراق هدية! بقربنا كانت موقدة النار قد أعدّت الشاي الذي خدر في ظل أحاديثنا، ثم هاجت رائحته مع اندفاعة الحديث المتوالية!
شربنا الشاي، وأنا امتدح باسم عبدو، أذكر أنني قلت لبنت الجيران سعاد أم الشعر العسلي، ولأمها أيضاً المعروفة بغوازيها وخزام أنفها، ودقة (السيالة) الزرقاء تحت شفتها السفلى، هذا الرجل من قبيلتنا! فزمّت الأم شفتيها، وقالت: كيف؟! سعاد تقول إنه من السويداء. قلت: لأنه من السويداء هو من قبيلتنا.
وقلت لـ سعاد وأمها ماذا في الأوراق، وما الذي حمله الحبر الأزرق، وقالت لي سعاد: اكتب له كلمة! وترامشت أجفانها لكأنها تستعد للطيران! فكتبت سطراً واحداً للأستاذ باسم عبدو، قلت فيه: أنت شجرة خروب كبيرة، ملأى بالحلاوة والخضرة والظل، أنت لا تحتاج لشفيع، أو ندى، بوركت!

-4-

منذ ذلك الوقت، يالذلك الوقت ما أجمله، وما أسعده!، ومنذ ذلك السطر، سطر المودة والألفة والمحبة، أصبحت وباسم عبدو صديقين!

-5-

بلى، لكم كاثرتنا المحبة فغدونا، أنا وإياه وآخرون، قبيلة للأدب فعلاً، ولكم احتفت بنا الدروب، ولكم صدّت عنا الدروب، ولكم كنت محقاً، حين قلت له مع بكوره القصصي الأول... أنت شجرة خروب.
الآن، وعلى الرغم مما تحتشد به اللهاة من ألم ومرارة، وما يجيش به الصدر من حزن، أرى شجرة الخروب الظليلة بكامل قامتها، بكامل حلاوتها الآسرة، وبكامل خضرتها الراهجة!.

زهرة في الرمال التي أثقلت قلبه... فتوقف عن الخفقان!

• د.راتب سكر

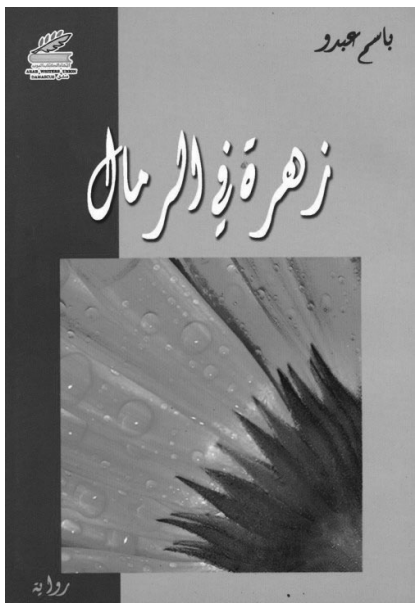

أصدر الأديب باسم عبدو (١٩٤٨- ٢٠١٥) روايته "زهرة في الرمال"١ عام ٢٠٠٦، معبرا عن انعطافة ذات دلالة في رؤيته للوجود والعالم، تلك الرؤية التي ظلت منذ مجموعته القصصية الأولى «الأخمص الخشبي» (١٩٩١)، مرتبطة بموضوعات النضال القومي والصراع الطبقي في المجتمع، وهواجسها الفكرية.

هذه هي روايته الرابعة بعد ثلاث روايات سبقتها هي: «ألوان قزحية» (دار الينابيع-١٩٩٤)، و«جسر الموت» (اتحاد الكتاب العرب-١٩٩٧)، و«احتراق الضباب» (دار نينوى-٢٠٠٣). وقد اتسمت رواياته الأربع بنزعة إلى التركيز على تنوع الشخصيات في البناء الفني، وتنامي الصراعات النفسية والاجتماعية والفكرية فيما بينها، فضلا عن تنامي الصراع النفسي الداخلي في المكونات الداخلية لكل شخصية، وتأثيره في سلوكها ودوافعه. ومن الراجح أن التوقف في محطات مع شخصيات روايته «زهرة في الرمال»، يسمح بتفهم تلك النزعة وتلمس بعض اتجاهاتها.

١، العنوان عتبة نصية ذات دلالة: يشي عنوان الرواية: «زهرة في الرمال»، بمآل أحلام اثنتين من أبرز شخصياتها المحورية: شادي وأمل، وتوقهما إلى تتويج مرافقتهما وحبهما، بزواج ناجح. تلك الأحلام النقية المشروعة التي اصطدمت بمعارضة والد أمل، عبدالله حرمون ووقوفه عثرة تمنع تحقيقها، مما عزز اندفاع شادي المؤهل للسير في دروب الخراب، بحكم ما اعترى تربيته صغيرا من مؤثرات سوء.

كلما أوغلت خطوات شادي في اندفاعها قدما في عالم من خراب القيم، ترددت عبارة «زهرة في الرمال» في كلمات أمل، وتقدمت لتعلن لوحة الختام، مستحقة القفز إلى عنوان الصفحة الأولى من الرواية، ملوحة بإعلان موقف من زهرة تعادل أحلام النقاء، في عالم من يباس الروح والقيم، تغطي الرمال مواعيد خضرته، ونور مستقبله.

لم يكن مثل هذا الموقف بعيدا عما كان يعتمل في صدر مؤلف الرواية باسم عبدو واقعيا، من مشاعر، منذ سنوات سبقت تأليفها، وما ترسخ بعد سنوات لحقته... ذلك ما كنت ألمسه من حواراتي الشخصية معه، في جلساتنا المتتالية بين عامي ٢٠١١- ٢٠١٥، حتى شعرت عندما قرأت خبر رحيله المفاجئ في مطلع كانون الثاني الجاري، تعزز اعتقادي بأن جيشان مثل تلك المشاعر بيباس العالم، وتحول تربة زهرة أحلامه بالنقاء البشري رمالا، أثقلا قلبه المتعب حتى توقف عن الخفقان.

٢، الشخصيات المحورية في الرواية، من أبرزها شادي وأمل:

ترافقا طالبين في الجامعة، حتى إذا تخرجا، وأصبحا مدرسين في إحدى ثانويات دمشق، تبلورت عواطف كل منهما نحو صاحبه، ليتفقا على رباط الزواج، الذي اصطدم بموقف عبدالله حرمون والد أمل الذي يعيش مع ابنته بعد رحيل أمها منذ سنوات... لقد شعر الأب أنه مهدد بخسارة ملاذه الأخير في العالم، بعد ما لاقاه من عنت دهره، فقد خرج إلى ردهات التقاعد الوظيفي في شركة الكابلات، بعد مهمته ثمانية أشهر في لجنة الشراء، سلبت شبهاتها ما احتفظت به حروف اسمه من أمارات النقاء، على مدارج السنوات، التي كانت عجافا، منذ هجرة شقيقه الوحيد عطا حرمون إلى أفريقيا، بعد أن استغل وكالة من والده لبيع ممتلكات العائلة، واستغل عمله الوظيفي في مصرف في عمليات نهب واختلاس، ليهاجر متابعا تورمه المالي وانهياره القيمي في منطقة «الكاب» بأفريقيا، تاركا أخاه لقسوة ضيق واقع الحال، من جهة، ولتحول صلاته الأخوية بمن ولدته أمه، إلى مصدر يبلس روحي وعاطفي، من جهة أخرى.

شجع هذا المناخ اليابس الرؤى والتربة، شخصية شادي على اندفاعها في دروب الخراب، فتزوج غير مرة، وتنوعت زيجاته وعلاقاته، تحت مظلات مظلمة الدلالات، فغدا من رموز طوابير التجارة بكل شيء تصل له اليد، قافزا إلى قطار الهلاك، متنقلا من عربة إلى عربة، تاركا مولودته من زوجته أمل «زهرة» لتصبح شابة تتحدى رمال أيامها في دهرها...وتاركا مولوده من زوجته نازك ليصبح شابا، يردي والده قتيلا، منتقما لما عاناه من أمه بعد هجره لهما...

إنها الرمال تكاد تغطي تربة عالم الرواية، وثمة زهرة طالعة في الرمال، تركها باسم عبدو في ختام روايته...إنها زهرة تحاصرها الرمال، التي أثقل يبسها قلب باسم عبدو، فتوقف فجأة عن الخفقان...

١-عبدو، باسم، ٢٠٠٦- زهرة في الرمال. اتحاد الكتاب العرب. دمشق، (١٩٣ص).

يا صدق يوسف في صبر أيوب

ارحل بعيداً في الغمام واذهب عميقاً في التراب..

• د. عاطف البطرس

من الصعب الحديث باقتضاب عن الصديق الصدوق باسم عبدو، لتعدد المهام التي قام بها، ولتنوع المواقع التي شغلها، فهو رجل سياسة (عضو في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري الموحد)، وعضو في المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب، ورئيس تحرير جريدة النور وقد حرص على كتابة زاويته فيها قبل رحيله بدقائق، إضافة لمهمته كمدير تحرير لدورية الأسبوع الأدبي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب.

وقبل ذلك وبعده، هو الأديب، الروائي والقاص، وكاتب المقال السياسي والاجتماعي والخاطرة الأدبية المميزة بروحها الساخرة الموجعة، عن كل ذلك سيتحدث النقاد والأصدقاء الكثيرون، كأنك كنت تسابق الزمن في تعدد المهام وتنوع وغزارة الإنتاج.

أما أنا المخذول بفقدك، المفجوع برحيلك فماذا أقول فيك، أيها الصديق الذي غادرنا دون إنذار أو توقع، لكنه الموت الذي يحوم فوق رؤوسنا، الموت الذي اختارك، رجلاً شهماً، عزيزاً على قلوبنا، لما يتجمل به من خصال، وما تتحلى به من صفات ومزايا..

أنت الشيوعي المخلص في انتمائك، الواثق من غد وطنك، المضحي من أجل قيم حزبه وأفكاره ومبادئه.

أنت المدرس المعطاء، يا من احترق بين المنابر والمحابر، في رحلة لا تعرف الكلل ولا الملل في تجربة سخاء مفعمة بحب الطلبة إيماناً بحقهم في التعلم.

أيها الوفي الأبي، الخدوم، الذي ما حنى رأسه يوماً لذل، قوي في الحق، ضعيف في الباطل مدافع جسور عن المستضعفين والمضطهدين وهب قلمه للكلمة الصادقة والمواقف الشجاعة أيها المحب المخلص لأصدقائه ومعارفه، المتواضع في غير تزلف، الأبيّ في غير تبجح، المعتد بنفسه وبقدراته دون استعلاء أو استخفاف بجهود الآخرين وقدراتهم.

عرفتك منذ سبعينيات القرن الماضي طالباً في الجامعة، متمسكاً بالصدق سلاحاً، حريصاً على الاستقامة منهجاً في القول والفعل، وبقيت كذلك حتى لحظاتك الأخيرة، فقلما التقيت في حياتي صديقاً يخدم أصدقاءه ويشجعهم ويقدم على نفسه كما عرفت منك.

أيها الصبور على الشدائد، العنيد في مواجهة الخطأ، الجسور في غير تهور، كتوم للسر حافظ للأمانة، كريم الطبع نقي السجايا.

أب حنون وزوج مثالي، بادلته شريكة حياته إخلاصاً بإخلاص، وحباً بحب، ووفرت له كل سبل الراحة للقيام بمهامه المختلفة.

يا صديقي باسم: اذهب بعيداً في الغمام، وارحل عميقاً في التراب، يا صديق البنفسج..

أتذكر عندما كنا نتمازح: من منا سيرثي من؟! لماذا غدرت بي وتركتني وحيداً وأنت مودع سري، ومأوى شكواي من قسوة الحياة وندرة الأوفياء في زمن يحبطه رنين الفضة والذهب.

تمهل قليلاً.. قليلاً، لا تغضب ولا تحتد يا رفيق الدرب الطويل والعمر القصير، واعذر إن توانيت في حمل الأمانة، فمن أين لكاهلي الواهن ولروحي القلقة، صمود وثبات روحك، وقدرتك على الصبر والتضحية،

يا صدق يوسف في صبر أيوب.

محبتك لوطنك وإخلاصك له، كان هاديك وبوصلتك في مواقفك، لم تضعف ثقتك بخروج بلادك من محنتها، ازددت تمسكاً بوطنك مدافعاً عنه في حاضره المؤلم إيماناً منك بقيامته الوشيكة..

كنت أتمنى يا أبا شفيع أن تكتحل عيناك بخلاصنا جميعاً من محنتنا الكبرى وقد ساهمت متصدياً لمواجهة الإرهاب والتكفير والأصولية البغيضة وفضحت الفساد والمفسدين.

آمنت بالحوار طريقاً للخلاص، وبالديمقراطية الحقة البعيدة عما لحقها من التشوهات والمناجزة هدفاً نبيلاً ومشروعاً قابلاً للتحقيق بعد توفر شروطه الموضوعية والذاتية، وكانت الاشتراكية هدفك البعيد، خلاصاً من الاضطهاد، ومن أجل حقوق الناس في مجتمع يضمن لهم تلبية احتياجاتهم المادية والمعنوية كافة.

لا تقلق أيها الصديق، فحملة الأمانة أهل لها، والأوفياء كثر، ومهما اشتدت حلكة الليل لابد من فجر وشيك، فنم قرير العين هانيها، أيها الصديق الذي أنجز ما وعد ووفى ما التزم به، وأخلص لمن أحب، وقدم دون تذمر أو ملل أو تردد.

يا صديق الحبر والورق، سيشرق وهج نور الصفحات طارداً قتامة الحبر، لنسجل معاً فجراً جديداً لبلدنا سوريا التي أحببت وللعالم الذي كنت مسكوناً بمشاكله وهمومه.

أبا شفيع أبكرت الرحيل.... وداعاً

• معين حمد العماطوري

لم أعـرف الأديـب والكـاتـب والروائي المبدع باسم عبدو عندما كتبت عـن مجموعته القصصية «اعـتـرافـات» في جـريـدة الثقافة التي كان يصدرها الأديـب مدحة عكاش رحمة الله... وبعد معرفتي به عن كثب بـدا مشوار الصداقة بيننا التي لم أحسب نفسي أنني سأفارق ذلك الأديب الذي ألتقيته قبل عقدين ونيف في قهوة الروضة، مع مجمـوعـه من الصحب، وكـون في ذاكـرتـي انطباعاً من اللحظات الأولى أنه الطيب والمميز بالموقف الـواحـد الـثـابـت ينفح عـبـيره بين دلالات كلامه وواقعيته المنسجمة مع نفسه وذاتـه وفكره وثقافته، ولأنني لم أعرفه هزلاً ولا صاحب هذيان، كانت الابتسامة الصادقة تملأ وجهه ولا تفارق محياه... بل عرفته وقوراً محباً للعلم والمعرفة، ولعلني بذلت جـهداً لاكتسب من اهتمامه الكثير.. لطيبه الذي لا يوصف....

وحينما تشرفت برواياته جسر الموت، واحـتراق الضباب، وزهرة في الرمال، شعرت أنني أمام كاتب وأديب مبدع له رؤيـتـه الثقافية وهمومه وشجونه الاجتماعية والإبداعية، إذ كان يومها مديراً لتحرير جريدة النور السورية قبل أن يصبح رئيساً لتحريرها، وطلب مني أن أكتب معه مقدماً لي يد المساعدة وهو الأديب المعروف والحصيف المميز.. وأخذ يمـدني بعونه ويـقـرأ لي مـا يكتب عبر الهاتف، وحين اقرأ له ما كتبت وجهني بتصحيح أخطائي الكتابية، وكلما ألتقيه أشعر بـدفء حنانه وصدق مشاعره نحو الصداقة، باسم عبدو الـذي لم يكن متكلفاً بشيء سوى أنـه يسعى بكل قـواه من أجل وطنيته ووطنه... من أجل نظافة يـده ولسانه، عمل لسنوات مجاناً في تحرير مجلة دراسات اشتراكية مقابل أن يجعل من بركان إبداعه ناراً وضاءة في سماء القصة القصيرة والأدب، واتخذ من قلمه السردي ومتخيله الواسع عنواناً للتعبير عن ألم الناس وهمومهم.. فكان يحرر صفحة وزاويته الأسبوعية يقدم لنا رؤيـتـه وتطلعاته السياسية والثقافية والنقدية والأدبية...

وحين أصدرت كتابي الأول/فهد بـلان الإنسـان/ كتب عنه بصدق المشاعر ومحبة الصديق الصدوق مع النص... فلغته الشعرية تجعل المتلقي يعيش بين ثنايا الـدلالات لـديـه، وعـمـق تـفـكيره التحليلي يرتقي إلى درجة عالية بين غيوم الحق والحقيقة... أخذ بيدي إلى درجـات أنـه بـات يصحح أخطائي التي لا تحصى، وسأكون أكثر عنفاً على نفسي وأعـتـرف بشطبه بعض مـوادي ويكتبها هـو بنفسه ويضع اسمي على المادة الصحفية، ويتحمل أعباء المعاناة مع صحب له لأجلي... مـتـفـانـيـاً مجـاهـداً لـلـحـفـظ على أصدقائه، وقدمني عنوة عن نفسه إلى أماكن لم أحلم بهـا... ونشر لي مقالات في صحف تواق للدخول عليها... ولأنـنـي تابعته في موقع مدونة esyria العامل به مراسلاً منذ نشـأتـه، وخـاصـة حينما فاز بجائزة البتاني بعد فوزه في جائزة مـاجـد أبـو شـرار ليتبعها جـائـزة سفنيكس للثقافة المصرية واكبته بالتدوين والتوثيق لتلك الجوائز عبر الشابكة.

أمـا عـن أعـمـالـه الأدبـيـة فحين أصـدر مجموعتين قصصيتين/ لا يموت الأقحوان، وتـورق ذاكرتي/، قـدم للعمل الأول المـرحـوم الناقد الدكتور ماجد أبـو ماضي والناقد الدكتور عاطف البطرس في المركز الثقافي باليرموك رؤيـة نقدية عن عمله بطريقة الإعجاب والحرفية العالية في كتابة القصة القصيرة... ليخوض تجربة جديدة في المكتب التنفيذي في اتحـاد الكتاب العرب وحين أعلن فوزه بكينا فرحاً له... وأول ما اتصل معلناً فوزه...

أبـا شفيع الحامل قيمة خاصة قل ما يتمتع بها غيره من الإخلاص في العمل وقيمته.. يكتب ويكتب ويقدم انطباعات تواكب الأحـداث الجارية... واثقاً أن الوطن لن ينسى له ذلك التعب والجهد...

أبـا شفيع الـذي بكر الرحيل... وتـرك في الـقـلـب حـسـرة... على الفراق... كيف ترحل أيها الغالي وصـوت الأصـدقـاء يحتاج لـك... كيف تـرحـل والحـيـاة تتماهى مع صدقك وإخلاصك ووفائك... أبا شفيع كنت الصديق الصدوق.. والأخ الـرؤوف.. والمعلم الشغوف... كيف أنسى أنك قدمت لي الكثير من فكرك وإنسانيتك للنهوض بتقصيري.. كيف أنسى أنك المرشد لي.. لقد كان وقع الخبر على مسامعي مسمماً... ليتني لم أقرأ ذلك الخبر... تمنيت لو أنك قرأت ما قرأت.. لكن القدر.. وعهداً علي يا صديقي الوفاء.. أن تبقى في الـذاكـرة سجاياك ثقافة لي.. أن تبقى وسـامـاً في القلب والصدر، سأفخر بنفسي أني في يوم كنت إلى جانب أخـي ورفيق دربي ومعلمي باسم عبدو.. هنيئاً للسماء بك.. وهنيئاً للملائكة الحافين حول نعشك بك... شآبيب الرحمات على روحك الطاهرة..

وستزول هذه الغمة السوداء إن شاء الله.. وسيعلن فرح الانتصار على الكفر والتكفيريين بقوة الجيش وعزيمة الشعب والقيادة... لأنك دعـاك في سماء ستكون كطيبتك في الأرض... وداعـاً أيها الغالي.. وداعاً صديق العمر.. وداعاً والدمع تملأ المقل... حزناً عليك.. سلام لك وسلام عليك في السماء الرب العالية.. ونم في جنان خلد جذلاناً هانئاً....

باســم ..

• رياض طبرة

أيها العابر إلى الخلود بقطار من المحبة والصدق والإبداع
أيها المسافر الحاضر في الذاكرة على الدوام
المعطر بأريج الوفاء للمتعبين
الملتزم بقضايا وهموم الآخرين ، ها أنت تحمل جلجلتك في حقيبة ،وترحل إلى حيث لا وجع ولا حزن ولا تنهد ، وأنت المؤمن ب: باطل الأباطيل كل شيء باطل والحياة ظل ومنام .

لقد أعطانا رحيلك على هذا النحو الفجائعي المباغت دليلا آخر على صدق ذلك ، وها هي الحياة ظل ومنام ، لكنك وعدت أن تعيد الوزنة مضاعفة وصدقت ، بل ضاعفتها كثيرا دون زعم أو ادعاء أو رياء ، بل كنت الصوت الصارخ في البرية تعد مجد الإنسان.

ها أنت تسبق جيلا بل أجيالا لاقتران الكلمة بالفعل ،كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ،وقد دفعت بالتي هي أحسن وكنت ذا حظ عظيم .

في وداعـك المـر شهدت محبة الناس كل الناس ، فجيعة الأصدقاء والزملاء والمعارف ، فجيعة الذين اختلفت معهم واختلفوا معك، لكنهم أسفوا على رحيلك، بدت محبتهم حضورا في الجنـازة في التعازي، في مواقع التواصل الاجتماعي، في أحاديث الكتاب والصحفيين والسياسيين من مختلف الأحزاب .

في وداعك يا أبا شفيع رأيت محبة السوريين كما عهدناها ، مازالت الدنيا بخيراذا وستظل...

وها أنت تلج الأبدية على رتبة كاتب صادق، لا تنس أن الناس بادلوك حبا بحب ووفاء وتقديرا بوفاء وتقدير.

الموت من حولنا سيل يتبعه سيل جارف، فالدمار والخراب كبيران، شباب بعمر الورود والرياحين يصبحون ولا يمسون، يعلقون على أهداب الوطن شهداء بررة، يذودون عن حياضه ليبقى عزيزا وليبقى لنا جميعا وهم الأحق أن يكون لهم، لكنه ظلم التاريخ للشام والجغرافيا ، لأهلها، لماضيها، لحاضرها، لكن دماء الشهداء وأوجاع أمهاتهم وذويهم لن تذهب هدرا،والشعب الذي يأسف على رحيل مبدع مثلك يقدر دم شهدائه وأوجاع جـرحـاه، وآلام مهجريه ونـازحـيـه ،هـذا الشعب سينتصر ويندحر الظلام ويرتفع رأس الوطن عاليا .

باسم عبدو اسمح لي أن أكـرر ما همسته في أذنـك بعيد الرحيل :

ما هكذا عهدنا بك يا أبا شفيع
ما هكذا يكون الرحيل
لكنها الحياة
لكنه الموت في جولة غادرة
هو الوجع كل الوجع لأنك في أوج عطائك
في أوج وجعك على وطن
ما أروع ما كتبت كأنك كنت تعلم بالرحيل
باسم
ليتك تسمعني لحظة الفجيعة بك
ليتك تسمعني أردد كالنساء النائحات على أخ
جانا الخبر ريت الخبر كذابي
يا لوجع أصدقائك صديقاتك
زملائك زميلاتك
عزاؤنا أنك ترحل ناصعا كالثلج
تسكن الأبدية قامة معطرة بالصدق
تستسلم للموت كسيف اندس في غمده
وها هي حروفك تنير الدرب للمتعبين
باسم
هذا الثلاثاء سيكون الجمعة الحزينة
ألست على جلجلتك تظل باسما
هذا فجر عبورك الأبدي باسم عبدو

القريب من القلب..!

• حسين صالح الرفاعي

كان لأبي شفيع من اسمه نصيب وافر.. لم أشاهده يوماً إلاّ باسماً، ودوداً، أسلّم عليه دائماً نتبادل قبلات المحبة.. كان كل منا يحاول أن يسبق بكلمة: أهلاً بجار الرضا.. كانت قريته خربا التي ولد فيها عام ١٩٤٨ على بعد خمسة كيلو مترات من قريتي. ولسنوات طويلة كانت الحافلة الوحيدة تبدأ رحلتها كل صباح من قريتي مروراً بخربا وعدة قرى حتى الوصول إلى درعا. كان الكثيرون من أهل هذه القرى تربطهم علاقات متينة وصادقة، يتبادلون التزاور في الأعياد والمناسبات.. إضافة لتلك المصالح التي يتبادلها الفلاحون.

كان أبو الشفيع قريباً من القلب، تطفح المحبة من عينيه، أنيقاً، كلماته ينتقيها بحرص وتخرج منه كدرر انتظمت بعناية مبدع، ينقلها صوته الدافئ.. توطدت علاقتي به من خلال الزمالة في اتحاد الكتاب العرب، سيما في الفترة التي كان فيها أميناً لسر جمعية القصة والرواية عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦. وكم كان أميناً لمهمته حريصاً على أن تكون الاجتماعات مثمرة من خلال القراءات والحضور المميز وتحقيق مطالب أعضاء الجمعية.

كان محباً لعمله مخلصاً متعاوناً.. حريصاً أن يوزع أعداد جريدة النور على الزملاء منذ كان مدير تحريرها ثم رئيساً للتحرير حتى يوم رحيله.. كنت أتناولها منه معلقاً بتحبب: (هات لنشوف شو عندكم..) فيرد بابتسامة طيبة: (مثل ما عندكم..) ونتبادل ابتسامات المودة وبعض كلمات كانت تدور حول الوضع الأمني في ريف درعا الشرقي والتساؤل بحرقة: متى ستكون العودة إلى هناك؟.. كان منتمياً حقيقياً وطني المواقف مدركاً للمؤامرة والعدوان على سورية بعقل السياسي المحنك.

كان يحن – كطفل – إلى هناك إلى ذلك السهل الرحيب الغني بآثاره وأوابده وطيبة أهله وعاداتهم العربية الأصيلة.. إلى وديان تسيل من قمم جبل العرب تتوزع في سهول حوران تنشر الخير، تحمل رسائل حب الوطن تتجه غرباً لتصب في وادي اليرموك.. يحن إلى تلال وهضاب شامخات يتربع عليهن المجد والتاريخ بحكايا البطولات، يزينهن الدحنون والأقحوان ونباتات برّية لذيذة كالعكوب والخبيزة والدريهمة والقريصعنة تلتقطها الصبايا بفرح لتكون موعداً للعاشقين.. ترتع فيها قطعان الأغنام والماعز بيوتها عامرة بالحب، في كل بيت مضافة عربية تصنع الرجال، تكرّس قيماً في الوطنية والأخلاق ضمن منظومة رائعة من العادات والتقاليد العربية الأصيلة.. في مثل هكذا بيئة نشأ وترعرع باسم عبدو وما تزال مفرداتها واضحة في سلوكه اليومي وفي كتاباته.

في قصته (حبات السبحة) وهي آخر ما نشره في ملف القصة القصيرة في العدد ٥٣٣-٥٣٤ في مجلة الموقف الأدبي، يبدو باسم طفلاً في حضن أبيه يعد حبات سبحة أبيه السوداء، يتلهى بها حتى ترتخي مفاصله وتذبل عيناه، تظل السبحة معلقة بين أصابعه، يتدفأ بأنفاس أبيه، يشم رائحة الأرض الفائحة من ثيابه وقد استمع إلى أغنية يدندنها والده.. وكم كان حريصاً أن لا ينقطع خيط السبحة كي لا تضيع حبة من حباتها.. ذات يوم فقد باسم حبة من سبحة أبيه، دهش الطفل باسم أين ذهبت تلك الحبة.. فيكشف له أبوه السرّ عندما وجدها وقد انفلقت إلى فلقتين وسقطت دون أن ينقطع الخيط.. كان هم باسم كبيراً فقد يغضب والده إلاّ أن الوالد – وبعد صمت في فسحة أمل خضراء – قال: كنت أتمنى منذ سنين أن تسقط هذه الحبة وتتفتت لأنها تحمل الرقم الذي يرمز إلى الحادي عشر من أيلول...

لا شك أن الطفل باسم عبدو كان محظوظاً بأب واع مسيس يحمل بذورَ الاشتراكية والعدالة.. من أجل ذلك لا نستغرب تلك الروح النقية الصافية والنفس الزكية التي يتمتع بها باسم عبدو.. قصة حبات السبحة نموذجاً مما كتب وأبدع..

من أهم أعماله الروائية والقصصية: نينوى، زهرة في الرمال، اعترافات، ولا يموت الأقحوان.

حاز العديد من الجوائز، وكتب الكثير الكثير من المقالات النقدية والسياسية، كان في كل ما كتب يحمل رسائل في حب الوطن وقيم الخير والجمال، ولم تغادره هموم الوطن والانحياز إلى العمال والفلاحين والطبقات الفقيرة فكان نصيراً دائماً لها، وفياً لما يحمل من فكر إنساني نبيل.

التقيته لآخر مرة على درج الاتحاد – قبل رحيله بثلاثة أيام – وكانت تبدو عليه آثار تعب وسألته عن صحته فأجاب بنبرته المعهودة: أخوك.. مثل الحصان.. وأردف: أنهيت العمل في جريدة النور وجئت لأتمم عملاً بدأته في الأسبوع الأدبي.. ولم يفتني أن أذكره بأنه سيشارك بقراءة قصصية في اجتماع جميعة القصة والرواية القادم.. ابتسم وقال: النص جاهز.. وبضحكته المعهودة المحببة قال: (سأفقعكم نص على كيف كيفك..) وقبل أن يتابع كل منا طريقه ناولني العدد الأخير من جريدة النور.. ولم أعلق هذه المرّة لأنني قدرت عجلته وضيق وقته.. تبادلنا نظرتين على أمل لقاء آخر.. لم أكن أعلم أنه سيكون لقائي به على درج الاتحاد هو آخر مرة أراه فيها.. يا للدنيا كم هي قاسية.. يا للموت كم يفرق بين الأصدقاء..

لم يكن يوم الأحد ٢٠١٥/١١/٢٩ يوماً عادياً في حياة أعضاء اتحاد الكتاب العرب في سورية والوطن العربي. فقد تبادلوا الاتصالات بكثافة.. منهم من ينقل الخبر.. ومنهم من أخذته المفاجأة فيستنكر بحزن.. ومن تأكد له الخبر جلله الحزن ونفرت من عينيه الدموع.. لجأت إلى صفحات التواصل الاجتماعي لأقرأ نزف الأسى والحزن من زملاء كثر أصيبوا – كما أصبت – بفقد زميل عزيز.. سيبقى باسم عبدو حياً في قلوب وضمائر كل من عرفوه.. وستبقى كتاباته وكتبه تحكي قصة إنسان مبدع رائع غادر مسرعاً وقد ترك إرثاً ثراً من الأدب بحجم حبه للوطن والناس دون أن يقول كل ما يريد قوله.. لذويه ولكل محبيه الصبر والسلوان للحرف والابداع العزاء.. لك الرحمة ولروحك السلام.

باسم عبدو... إلى رحاب الله

الف آه بقلبي

• سليمان السلمان

داعي الموت للفراق دعاه
وكؤوس المنون حرّى سقاهُ
وتناءت به المنية سكرى
في ثنايا الرحيل تطوي مداهُ
ورمانا الأسى ببحر عذابٍ
نتلوّى ونستقي بلواهُ
يا بني الموت ألف آه بقلبي
كيف ترضى أن تسكن القلب آهُ
يا رفيقي وكنت موضع حبي
في مدى الود والرضى سكناهُ
في ضميري ...ما غاب عني وألقى
كل يوم سعادةً في لقاهُ
باسماً كان في لطافة قولٍ
تتجلّى أحلامه ومناهُ
خاض بحر الحياة من أجل دنيا
لا شقاءٌ فيها ولا أوَاهُ
فكرُهُ فكرةُ الخلاص من الظلم
أبياً مصارعاً ..ما ارتضاهُ
عاش افكارهُ التي في هداها
فكرنا الحر للنضال هداهُ
فطوى العمر لم يقصّر بأمرٍ
وتسامى في سعيهِ ورؤاهُ
طيب القلب والسطور لديهِ
مشرقات الحروف فيها نراهُ
أريحياً مطيّباً بالأماني
مبدئياً إلى الأمام خطاهُ
نلتقيه على صحيفة نورٍ
ما توانى عن قول حق دعاهُ
يا رفيقي هل لي بدمعي دليلٌ
لفراقٍ بلا لقاءٍ وراهُ
وعذابي كيف الأماني توارت
في تراب زها بمن قد حواهُ

لماذا رحلت ..؟؟

• أسعد الديري

إلى روح الصديق باسم عبدو

لماذا رحلتَ ...؟؟
وأنتَ البهيُّ .. النقيُّ .. الجميلْ
لماذا رحلتَ ...
ولم تكشف السرَّ ..
سرَّ انحناءِ النخيلْ
وكيف تلوذُ الغيومُ بأفقِ السماءِ
لِتَهطِلَ عِشْقاً .. وحبّاً
بقلبٍ عليلْ ..؟؟
لماذا رحلتَ ..؟؟
وأنتَ الندِيُّ .. الوفيُّ النبيلْ
•••
بربّكَ قلْ لي لماذا رحلتْ ..؟؟
فهلْ يا صديقي
سئمتَ الحياةَ .. ومنّا مللتْ
لعلّكَ كنتَ تريدُ
السؤالَ عن الراحلينَ
لتكشفَ سرَّ البقاءِ
وسرَّ الفناءِ
وتَرْجِعَ ..
تكتبَ عنهم .. ولكن فشلتْ
وما عدتَ تبغي الرجوعَ إلينا
فهاهم قد احتضنوكَ
وقالوا : هلمَّ إلينا
.فطابَ اللقاءُ بهمْ
وسْطَ هذي الجنانِ.
وأنتَ قبلتْ
•••
وداعاً .. وداعاً
صديقيَ باسمْ
كتبتَ الملاحمْ
كتبتَ الهزائمْ
كتبتَ القصيدةْ
لدنيا جديدةْ
كتبتَ انتصاراتنا
في حروبِ الكلامْ
وما يعترينا وراء الزحامْ
وها قدْ رحلتَ
كما يرحلُ الأنبياءْ
وخلفتَ ما ينعشُ الروحَ
روحَ الصداقةِ .. والأصدقاءْ
وخلفتَ ما يثلجُ القلبَ
قلبَ السماءْ

باسم عبدو .. زاهد برتبة ناسك وطموح برتبة مكافح

• حسني هلال

إلى ما يعرف من أسباب ذاتية وموضوعية، لما يمكن تسميته، ظاهرة الاندفاع لإغراق الراحلين بالكتابة (على أنواعها) عنهم. وبوقف النظر عمَّا في تلك الأسباب من إيجابيّة وسلبيّة، من دون التقليل من أهمية ذلك طبعا.. أجدني محفوزاً لذكر ما يحضرني الآن، ممَّا أزمعت كتابته سابقاً، بخصوص (الكتابة) لدى الراحل أبي شفيع باسم عبدو، ولم أفعل لمحاذير أقلها قناعتي بها آنئذ.

ولئن كنت على قرب وتماس مع باسم عبدو، بحكم استكتابي شبه الدائم في صحيفة (النور). التي لازمها أبو شفيع منذ بداية صدورها – مجدداً- كاتباً ومسؤولاً، حتى رحيله. ما قد يجرح (شهادتي) به، بيد أنَّه لا يستطيع أن ينفي عنها صدورها عن معاينة وكثب.

بعيداً عن حكم القيمة على المنتج الأدبي، بفتح التاء، ما يحتاج لدراسات وافية ونقاد متمرسين. وعن إطلاق الصفات على المنتج، بكسر التاء، ما يكفيه –أحياناً-، كثير من التسرع والتحيّز وقليل من المعرفة والجدّية. يمكن التركيز على غير واحدة من المزايا الشخصية التي امتلكها صاحب«الرمل» سحابة عمره القصير، ومساحة نتاجه الوفير:

كان كاتب «جسر الموت» وثوقاً بذاته معتدّاً بها، من دون تبجّح ولا تعالٍ..

ليّن العريكة في المتواضَع عليه والجانبي من الأمور، وصلب الإرادة والموقف في المبدئي والأساسي منها..

كاتب متنوع، يتعاطى القصة والرواية والبحث، والمقالة بألوانها (السياسي، الاجتماعي، الأدبي، و..) محافظا على النقاوة الجنوسية في كلٍّ منها..

كما كان الراحل كاتبا صحفيا غزيراً، بالمعنى المهني الإيجابي للصفة. سواء من حيث الحضور الدائم تقريبا لملكة الكتابة لديه، في مختلف الظروف والمواضيع، أو من حيث إشباع مادته، عمقا واشتمالا..

وقد بقي أبو شفيع متمتعاً بهذه الصفة وأخواتها، إلى آخر نور من حياته، وآخر (خيط نور) من جريدته جريدة النور. ومقاله فيها بعنوان «روسيا لاتطعن حلفاءها.. بل تردع الأعداء!» في العدد الأول بعد وفاته. الوفاة التي أراني بـ «باسم» يشارك متقدمه في الرحيل «غارثيا ماركيز» شعوره تجاهه، حين قال في أحد اللقاءات: موتي سيكون التجربة الوحيدة التي لم أتمكن من الكتابة عنها!

إذا كان لابد لحامل القلم، من فكر يصدر عنه.. نظرية يعتمدها، وأسلوب يكنى به. فالفكر العلمي.. المادية الديالكتيكية، والواقعية النقدية. هي أقرب مايكون لصاحب «الصفعة» سواء في كتاباته الأدبية، أو في أعماله الأخرى.

غير أن ذلك لا يعني أنَّ بطانات مقالاته وخواطره، لاتعتليها الصور والتشابيه، وفضاءات قصصه لا تجوبها الفراشات والعصافير، وسماوات سرده لاتزورها الأحلام والرؤى.

أخيراً.. لايسعني إلا أن أشير إلى أنَّ سيرة معاناة فقيدنا الباسم ومقاساته، المنشور منها في الكتب والصحف والمجلات، والمخبوء طيّ الأدراج والأوراق. تتسع لغير مبادرة، من غير ذي تخصص، وخبرة، واهتمام.

قطوف من كت ابات أبي شفيع

لايحق لي أن أعطي دروساً في القصة القصيرة، لأنَّي ما أزال تلميذاً متدرباً. ولكن يحق لي كقارئ متابع لبعض جوانب المشهد الثقافي والإبداعي، أن أقدم قراءة انطباعية وأحاول أن يكون رأيي صائباً أو قريباً من الصواب.

يظل جنيف (٢) هو الدريئة التي تتعرض إلى سهام الرافضين له.

يبدو أن ظاهرة المثقف الفائض هي ظاهرة ليست عابرة في المنطقة العربية والعالم. بل لها جذورها التاريخية ومن الطبيعي جداً أن تنمو هذه الطحالب على أطراف المستنقعات في كل مجتمع.

لا ينسى منذ قرن وحتى هذه اللحظة، أنَّ الفراشة أنقذته من مُصاب أليم.

لا ينسى منذ الربيع الفائت أنَّ دوريا يزوره كل صباح وينقر زجاج نافذته ليذكره بمواعيده.

يشد عنق الحلم بحبل معلق في خصره، كي لا يفلت ويهرب ويتركه فريسة للصوص.

ما يزال من عشق ونيف، يرسم أشكالاً لحبيبته التي تبتسم متّكئة على جدار الحاكورة، وهو يقدم لها عرق النعناع.

تبكي المآقي

• فلك حصرية

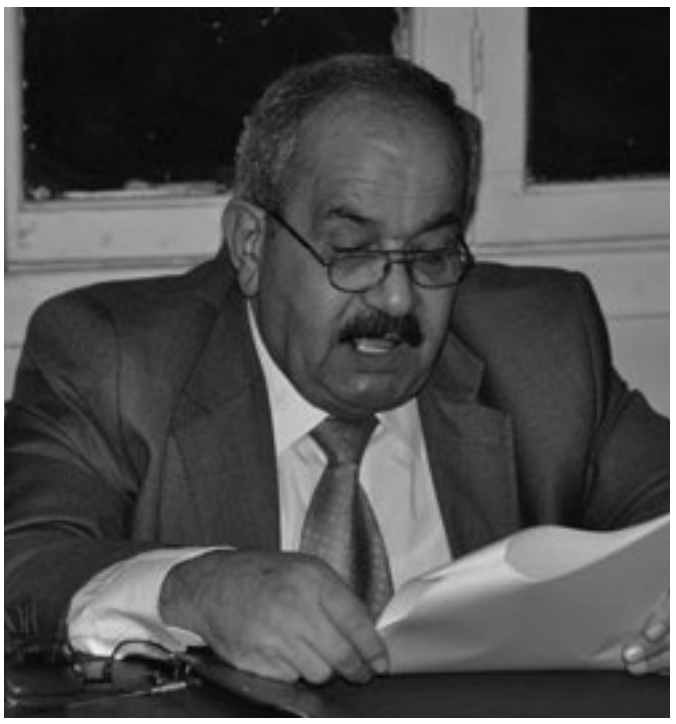

عندما نريد رثاء صديق غالٍ علينا لا نعلم إن كانت اللغة ترثيه أم ترثي وقتاً ورحلة من العمر قضيناها في ركن من أركان الزمن.. ربما هذا الركن المنسي بالنسبة للآخرين مجهول الهوية، غامض ولكنه واضح، حقيقي، يحتل جزءاً من كياننا، وفسحة حب من وجداننا، ورحلة شائقة من الوعي والمودة، والمعرفة التي تكسَّرت أسوار غموضها، وانزاحت تفاصيل غربتها، وغابت ضبابية مجهولها، وبات الأصدقاء بحكم تجاوز فترة المعرفة فيما بينهم يقرأون بعضهم ككتاب مقدس لا تحط فوقه نوارس بحر غريبة طارئة..

باسم عبدو.. بعيداً عن رحلة العمر في الأدب والإعلام والنضال التي برز فيها قامة لها وزنها وثقلها واحترامها، وتأثيرها الذي لن يمحا مع الزمن وإنما ستزداد فاعليته وتأثيره مع ازدياد سني الفراق، ومدة الرحيل..

بابتسامته المعهودة كان يقابلك، ويحييك، وبتواضعه الجميل يلبسك مودة ترفد القلب نبضاً يتغلغل في جوارح النفس، وبقلمه يدخلك عوالم النفس البشرية الطافحة بالبشر والبساطة، والإنسانية والسعادة، ويدغدغ خيالك بقلمه الذي خلد مجموعة مؤلفات سعى عبرها يحيي القارئ النهم لأدب ينثر الأقحوان مساكب حب والقرنفل والياقوت أمواج شلال تغسله أنوار الصباحات البتول، وتكلله أنفاس الربيع المتوثبة نحو الجمال والألق، وتعمده دفقات أرواح تتسامى وتنثر شذى الفرح الآتي مع ضحكات الصبايا، وتراكض الطفولة نحو ملاعب اللهو والبهجة..

باسم عبدو.. رغم قصر المسافة بيننا إلا أن البعاد والغياب يقف حائلاً بين الأصدقاء واللقاء.. فقد عوَّدنا الموت أن نقف في محطته ملوحين بقلوبنا لمن يمضي قبلنا، ونحن - بالواقع - نلوح في وداع أرواحنا، وغياب أجسادنا، وانقضاء أعمارنا..

باسم عبدو.. عندما تبكيك المآقي.. فذلك هو بعض من الفكر الذي يعزُّ عليه غياب ووداع واحد ممن عرفوا الطريق إليه بثقة وجدارة...

وعندما تضطرب الدموع ففيها ألق من شلال ضوء انبعث وما يزال يطوف ببقايا حنايانا وهو يلقي التحية علينا في كنيسة "نور العالم" محاولاً إزاحة ستار الحزن عن أعيننا هامساً: "من آمن بي وإن مات فسيحيا".

سلاماً صديقي الإنسان والأديب والمناضل باسم عبدو.. سلاماً لروحك وهي تسبح في عالم الخلود والفضاء.. ولأهلك ومحبيك الصبر والسلون..

سلاماً لأدب أحيا وسيحيي ذكرى من مضى وغاب وكأنه - أبداً - خالد.. فالمفكرون والأدباء الحقيقيون لا يموتون..

باسم الذي نرجو أن يكون منه بواسم؟

• د.محمد علي جمعة

كل إنسان يفكر فيما يأمنه وفيما يخشاه على نفسه وعلى الآخرين، وغالباً يعظم أثر تفكيره فيما يخشاه. ومن الطبيعي أن تعظم خشيته بتأثير حالات الفراق التي لا لقاء بعدها، تلك الحال من الفراق التي تتصف بأنها مطلقة، لدخولها تحت مفهوم نسمّه "الموت"، الذي هو الحال الذي ينعدم فيه الوجود المادي المحسوس، سواءً من قبل الذات أو الآخر، لتحلّ محلّها حال الوجود الإدراكي، الحامل لصورة الوجود الحسي كصورة وتصوّر ذهنيين. ويصبح هذا الوجود إما مؤقتاً، وإما دائماً يدوم بدوام حياة المدرك. واستمرار الوجود المدرَك يرتبط بالأثر الذي يتركه المفارق مادياً / جسدياً / على الموجود مادياً وذهنياً وعاطفياً. وإذا كان كل إنسان يلتقي أثناء حياته الكثير من الأشخاص. فإن منهم من يمضي مع اللحظة التي التقاه فيها. ومنهم من يبقى في الذاكرة زمناً قصيراً ثم يمضي، وربّما يترك أثراً لا يطول زمنه حتى يمحي، إلاّ في استثناءات قليلة. ومنهم من يحفر اسمه ويثبت رسمه وأثره في الذاكرة، مكوّناً انطباعاً يستمر في حامله طوال حياته. فإذا ذكره راودته الخواطر السارة الباعثة على الطمأنينة في النفوس، أو نقيضها.

وما من إنسان مدرك لذاته وواع لمحيطه، إلاّ ويتأثر تأثراً يتناسب مع حجم الأثر ونوعه، الذي تركه فيه وعليه، ولغيره وعليه مفارقه. وإن كنت على الصعيد الشخصي، لا أُجيد الرثاء، إلا أنني كغيري من الأصدقاء والزملاء والأصحاب لـ"باسم عبدو" محزونون لفقداننا ومفارقتنا إيّاه. خاصة وأنه الزميل في اتحادنا، اتحاد الكتاب العرب، والصحافي ورفيق الفكر والأدب، فارقنا من لم تكن اللباقة في اللفظ والسلوك تفارقه، مثلما لم تكن الابتسامة الدافئة تفارق وجهه البشوش، فقد كان اسماً لفعل. فارقنا الهادئ في طبعه، الطيب الخلق، الظاهر الود، الصادق في صداقته. صورة لن تفارقنا لمن أحببناه وأحبنا، وستذكرنا،ما حيينا، بمن أبدع بصمت أدباً، وعمل سياسة علناً. صورة من كان في سلوكه متطابقاً مع نهجه الإبداعي، فكما كان أديباً ينسج الكلمات نسجاً إبداعياً، كذلك كان سلوكه نسيجاً من الأدب في تعامله مع الآخرين، فأغنى النفوس مثلما أغنى الأدب مقالة وقصة، وكان يبعث في الحوارات غنىً. "باسم" الذي كنا في حواراتنا، نتفق فيما يمكن أنْ يؤدي للوطن خدمة، رغم اختلافنا في الانتماء السياسي. "باسم" الذي كان يحمل الهمّ الوطني، ويعمل للخلاص من هذا الهمّ عبر إبداعاته، ومن خلال سلوكه الفردي ونشاطه السياسي، كما كل الوطنيين الشرفاء من أيّ انتماء سياسي أو حزبي كانوا. فهو ممن كان يرى ويعتقد أن الاختلاف قاعدة سلوكية لتحقيق الاتفاق. وأنه أبداً لا يفسد للودّ قضية ،كما يقال. وإذا كنا نختلف حول بعض الأساليب وفي الآراء، فقد كنا نتفق في أخرى، لكنه لم يجعل من الاختلاف في الرأي سبباً للقطيعة، ولا للخصومة، بل، كان يرى أن في الاختلاف غنىً، وسبباً لاستمرار التواصل، الذي لا بد أن ينتج عنه حلّ للمسألة المختلف عليها ، كان يحترم الآخر ورأيه، ويعرف كيف يتعامل مع مخالفه من غير أيّ شكل من أشكال الحساسية الفكرية أو السياسية .

وإذا كان "باسم" قد رحَّل جسداً إلى محطّة سنلحقه إليها، فإننا، وكل من عرفه، يتمنّى أنْ يلتقي بواسم آخرين، يعرفون كيف يختلفون، كما يعرفون كيف ولماذا يتفقون. والأهداف لها سيعملون. والحق أقول: إنني أتمنى أن نكون بواسم في تعاملنا البيني، وفي علاقاتنا. فأنا كزميل وصديق، لن أنسى تلك الصورة التي لقيني بها في مبنى الاتحاد، قبل أيام من وفاته، حين قال لي وابتسامته تملأ وجهه: أكتب لجريدتنا، أي جريدة النور، وإلاّ، وهو يلوّح بالقلم، فقلت له: وإلا، فأجاب: ستكتب، فأجبته: سأنفذ تهديدك اللطيف. /وفعلاً سأنفذه حيث غدا ديناً يجب إيفاءه/. فنحن الأصدقاء والزملاء والرفاق، لن ننساك يا "باسم" كلما كتبنا، ولن ننساك كلما قرأنا أدباً أو فكراً، أو تعاطينا مع مجلة أو صحيفة، لن ننساك ما حيينا. وسنتذكرك كلما التقينا نحن أعضاء الاتحاد في اتحادنا، اتحاد الكتاب العرب، وفي خارجه، وكلما كان هناك لقاء فكري أو سياسي. فإن توفّيت جسداً، فإنك ستبقى حيّاً في فكرك وأنموذجاً في سلوكك... فالمبدعون لا تقاس أعمارهم بعدد السنين التي عاشوها، إنما تقاس بنوع وطبيعة الكلمات التي خلفوها، وبذلك فإنهم لا يموتون، لأن كلماتهم المنظومة إبداعاً، ستبقى تقول: المبدعون أحياء، لأنهم توحدوا مع الكلمة، واتحدت بهم الكلمة. وكلنا أمل أنْ نلتقي بواسم آخرين، في سلوكهم وإبداعاتهم متطابقين. ألا ليت ذلك يكون كذلك؟

الأديب حسن م. يوسف عضو شرف اتحاد الكتاب العرب

• طلال أطلي

تقديراً لإبداع الأديب الأستاذ حسن م يوسف ولانتماء أدبه ومواقفه إلى الثقافة الوطنية اتخذ المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب بجلسته رقم ١٢ تاريخ ٢٠١٥/١٢/٢ القرار المتضمن بمنح عضوية الشرف للأديب يوسف في الاتحاد.

وعلى هامش الاحتفاء بيوسف في الملتقى الأول للقصة القصيرة الذي أقامته مديرية الثقافة بالتعاون مع فرع اتحاد الكتاب العرب في طرطوس. تلا السيد رئيس الاتحاد قرار المكتب التنفيذي، فضجت القاعة بالتصفيق دهشة وإعجاباً بالخطوة الحضارية لاتحاد الكتاب العرب فيما يعني الثقافة الوطنية وضرورة أن يكون الاتحاد مؤسسة ثقافية حاضنة للإبداع السوري والمبدعين السوريين.

وكان الأديب يوسف تسلم من السيد رئيس الاتحاد قرار المكتب وشهادة تقدير عرفاناً بأهمية إبداعه ومواقفه، وألقى كلمة مؤثرة عبّر فيها عن سعادته بقرار الاتحاد ولا سيما في هذه الظروف الاستثنائية من تاريخ سورية.

وكان رئيس الاتحاد الدكتور نضال الصالح قال على هامش الاحتفاء بالأديب يوسف إن اتحاد الكتاب يكرم نفسه إذ يكرم الإبداع والمبدعين في سورية وإن يوسف كان يجب أن يكون عضواً في الاتحاد قبل ما يزيد على ثلاثة عقود، والآن يعيد الاتحاد إلى الأديب حسن. م. يوسف ما كان جديراً به منذ سنوات طويلة وإن هذه الخطوة ليست سوى مقدمة لخطوات ستلي يؤكد الاتحاد من خلالها حرصه على أن يكون بيتاً ثقافياً وطنياً جامعاً للكتاب السوريين من أجل أن يتشارك الجميع في إعادة بناء البيت الثقافي السوري الذي حاول بعضٌ ممن ارتضى لنفسه الخروج على الصف الوطني من الكتاب أن يصدّعه، فأبى هذا البيت إلا أن يكون سورياً بامتياز وحضناً عامراً بالانتماء إلى سورية الحضارة والمجد والتاريخ.

هذا وقد ألقى الدكتور نضال الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب أثناء الاحتفالية دراسة نقدية لقصص الأديب يوسف ستصدر قريباً في كتاب يحمل عنوان (عالم حسن م. يوسف القصصي).

طَه حسَين .. رِحلَةُ حَيَاة

• عَلاء الدِّين حسَـن

وُلِدَ في محافظة المنيا ، في الرَّابع عشر من نوفمبر عام ١٨٨٩م ، وفقد بصره وهو طفل ، وأتمَّ حفظ القرآن الكريم وهو في التَّاسعة من عمره ، ثمَّ التحق بالأزهر الشَّريف ، ومنه انتقل إلى جامعة فؤاد الأوَّل (جامعة القاهرة) ، ثمَّ أعدَّ رسالته للدّكتوراه والَّتي نُوقشت عام ١٩١٤ م ، وكانت عن ذكرى أبي العلاء المعرِّي ، وكانت هذه الرِّسالة أوَّل كتاب قُدِّم إلى الجامعة ، وأوَّل رسالة دكتوراه منحتها الجامعة المصريَّة .

وفي العام نفسه سافر طه حسين إلى فرنسا ضمن بعثة من الجامعة المصريَّة ، والتحق هناك بجامعة مونبلييه ، ودرس اللُّغة الفرنسيَّة وعلم النَّفس والأدب والتَّاريخ ، ولأسباب ماليَّة عاد من البعثة .

وفي العام التَّالي ١٩١٥ م ، عاد طه حسين إلى بعثته ، ولكن إلى باريس هذه المرَّة ؛ حيث التحق بكليَّة الآداب بجامعة باريس ، وتزوَّج السَّيّدة سوزان الَّتي تعرَّف عليها عندما كانت تقرأ مقطعاً من شعر (رايسين) فأحبَّ نغمات صوتها ، وعشق طريقة إلقائها وتعلَّق بها قلبه .

وفي عام ١٩١٩ عاد طه حسين إلى مصر ، فعُيِّن أستاذاً للتَّاريخ اليونانيِّ والرُّومانيِّ بالجامعة المصريَّة ، ثمَّ عُيِّن عميداً لكليَّة الآداب عام ١٩٣٠ م .

وفي عام ١٩٥٠ م ، عُيِّن لأوَّل مرَّة وزيراً للمعارف في الحكومة الوفديَّة الَّتي استمرَّت حتَّى ١٩٥٢ م . ثمَّ انصرف إلى الإنتاج الفكريِّ والنَّشاط في العديد من المجامع العلميَّة الَّتي كان عضواً بها داخل مصر وخارجها .

أثـرى طـه حسين المكتبة العربيَّة بالعديد من الأعمال والمؤلَّفات ، وكانت هذه الأعمال الفكريَّة تحتضن الكثير من الأفكار الَّتي تدعو إلى النَّهضة الفكريَّة ، وإلى التَّنوير ، والانفتاح على ثقافات جديدة ، هذا بالإضافة لتقديمه عدد من الرِّوايات ، والقصَّة القصيرة ، والشِّعر .. نذكر من أعماله المتميِّزة « الأيَّـام » عـام ١٩٢٩ م والَّذي يُعَدُّ من أشهر أعماله الأدبيَّة ، كما يُعَدُّ من أوائل الأعمال الأدبيَّة الَّتي تناولت السِّيرة الذَّاتيَّة .

ونذكر من أعماله أيضاً : « على هامش السِّيرة ، حديث الأربعاء ، مستقبل الثَّقافة في مصر ، الوعد الحقّ ، في الشِّعر الجاهليّ ، المعذَّبون في الأرض ، دعاء الكروان ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعيَّة ، من بعيد ، صوت أبي العلاء ، الدِّيمقراطيَّة في الإسلام .. « .

كما قـام بترجمة عـدد مـن المؤلَّفات الهامَّة إلى العربيَّة ، وترجمت مؤلَّفاته هو

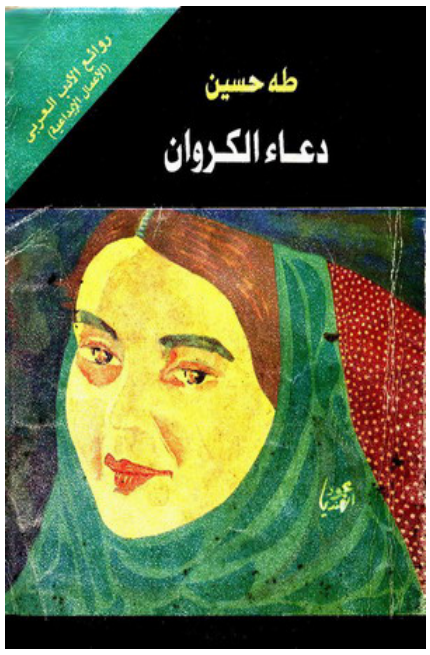

شخصيَّاً إلى عدد من اللُّغات ، وله العديد من البحوث .

وقد أثار كتابه « في الشِّعر الجاهليّ « الَّذي صدر سنة ١٩٣٦ م ، أثار زوبعةً من النَّقد ، وهو يُقدِّم نظرة جديدة في الشِّعر الجاهليّ يرى صاحبها أنَّ الشِّعر الجاهليّ لا يُمثِّل الحياة العربيَّة في العصر الجاهليّ ، ويؤكِّد على أنَّ هذا الشِّعر موضوع في العصر الإسلاميّ .

أفكَـارُه :

دعـا طـه حسين إلى نهضة أدبيَّـة ، وعمل على الكتابة بأسلوب سهل واضح مع المحافظة على مفردات اللُّغة وقواعدها ، ولقد أثارت آراءه الكثيرين ، كما وُجِّهت له العديد من الاتِّهامات ، ولم يبالِ طه بهذه الثَّورة ، ولا بهذه المعارضات القويَّة الَّتي تعرَّض لها ، ولكن استمرَّ في دعوته للتَّجديد والتَّحديث ، فقام بتقديم العديد من الآراء الَّتي تميَّزت بالجرأة الشَّديدة والصَّراحة ؛ فقد أخذ على المحيطين به ومن الأسلاف

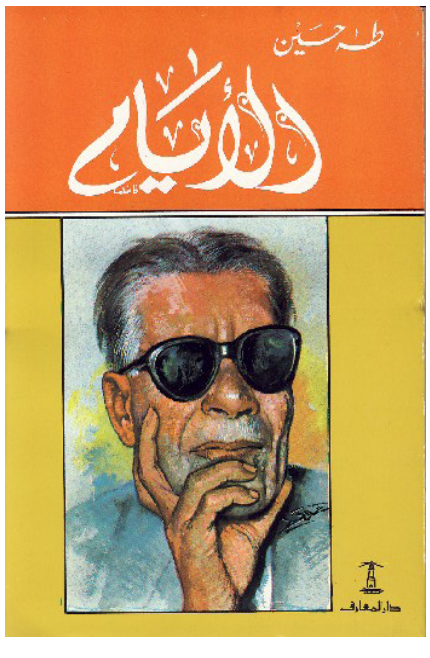

من المفكِّرين والأدباء طرقهم التَّقليديَّة في تدريس الأدب ، كما دعا إلى أهميَّة توضيح النُّصوص الأدبيَّـة لطلبة العلم ، هذا بالإضافة لأهميَّة إعداد المعلِّمين ؛ ليكونوا على قدر كبير من التَّمكُّن والثَّقافـة .

مَنهَج حرّ :

وقد آمن طه حسين بحريَّة الأديب في تناول موضوعه ، دون خضوع لأيّ قيد مهما كان ذلك القيد ، اجتماعيَّاً كان أو سياسيَّاً أو دينيَّاً أو أخلاقيَّاً ؛ وذلك لأنَّ حريَّة الأديب تكفل له حريَّة الانطلاق إلى ما يريد من آفاق ؛ وعندئذ الباحث أن يكون مبتكرا ، ومجدِّدا ، ونافعا للنَّاس .

يقـول : فتاريخ الأدب إذاً يجب أن يتجنَّب الإغـراق في العلم ، كما يجب أن يتجنَّب الإغراق في الفنّ ، وأن يتَّخذ لنفسه سبيلا وسطا (١) .

ومِن أقوالـه :

- محبَّـة المعرفة لا تفترق عن محبَّة الإيمان .
- أحسن المعرفة : معرفتك لنفسك .
- إيَّاك والرِّضا عن نفسك ؛ فإنَّه يضطرّك إلى الخمول .
- كم أتمنَّى أن يقرأ الكاتب أكثر ممَّا يكتب .

وعندما صار وزيـراً للمعارف قـال : التَّعليم يجب أن يكون كالخبز والهواء .

وطه حسين قدَّر قيمة الوقت وحرص عليه ، وكـان يـقـول : المـوت خـير لي من الحياة إذا لم أقرأ (٢) . من هنا يمكننا أن نقول عنه : إنَّه كان أستاذ الأجيال (٣) . وأسئلته لا نعثر عليها إلّا في الواقع العمليّ (٤) . وقد أشار إلى أنَّنا ينبغي أن لا نذعن إلاّ لمناهج البحث العلميّ الصَّحيح (٥) .

وإذا كان طه حسين قد أعلن أنَّ المتنبِّي ليس من أحبِّ الشُّعراء إليه (٦) ؛ فإنَّه في الوقت ذاتـه اقتفى سلوك أبي العلاء المعرِّي ، فامتلأ قلبه بمزيد من الحبّ ، حتَّى عُدَّ منبعاً من منابع شعره (٧) .

الرَّحيـل :

رحل طه حسين في الثَّامن والعشرين من شهر تشرين أوَّل عام ١٩٧٣ ، بعد أن ساهم في دفع الأدب العربيّ إلى القِمَّة (٨) .

هامش

١ – في الأدب الجاهليّ – ص ٤٧ .
٢ – الأديب الإنسان – مقالة لكاتب هذا المقال – صحيفة تشرين ١٩٨٨/١١/١ .
٣ – المثقَّف العالميّ – مصطفى عبد الغني – الجسرة الثَّقافيَّة – العدد التَّاسع /٢٠٠١ م.
٤ – طه حسين والعقلانيَّة – تأليف فيصل درَّاج – دار عيبال .
٥ – الأدب والحريَّة – خليل أبو جهجه – صحيفة الأنوار ٢٥ آذار ١٩٩٠ .
٦ – مقدِّمته لكتابه : مع المتنبِّي .
٧ – من محاضرة لكاتب هذا المقال قُدِّمت في ثقافيَّة الحسكة لـ ١٩٨٨/٢/٢٠ .
٨ – حياة قلم – عَلاء الدِّين حسَن – الجزيرة (الرِّياض) .٦ حزيران ١٩٩٣ .

المراجع :
- طه حسين والسِّياسة ، تأليف : مصطفى عبد الغني - دار المستقبل العربيّ – مصر . الطَّبعة الأولى – ١٩٨٦ م .
- طه حسين آثاره وأفكاره - الدّكتور السَّيِّد تقيّ الدِّين ، دار نهضة مصر - ١٩٨٧م .
- طه حسين – الهلال - عدد خاصّ ، فبراير ١٩٦٦ م .
- مئويَّة طه حسين – مجلَّة الفكر العربيّ – العدد ٦٢ لعام ١٩٩٠ م .

التراث الثقافي

• حسين مهدي أبو الوفا

إذا كان لكل أمة تراث تعتز به وترجع إليه فإن تراث أمتنا العربية عميق الجذور، فهو يرتبط في منبعه بالأصالة وفي امتداده بالعروبة وهو بذلك من أهم مصادر ثقافتنا.

ويشكل المد الثقافي عندنا أهمية بارزة في الهوية العربية بحكم أنها تستمد جذورها عبر قرون طويلة من تاريخ الأمة العربية مما يدفعها للمحافظة على جذورها الممتدة في أعمق تاريخها المرتبطة بمفرداتها وعناصرها المتجذرة في أصولها. لمكانتها بين الأمم التي تستلهم ماضيها المشرف ولا تنسى حاضرها المؤسف وتتطلع إلى مستقبل أفضل من الحاضر.

يواكب طموحات الأجيال المتطلعة إلى حياة أفضل ومجال أرحب وفي مجال ثقافة أوسع على مستوى التقدم الباهر في هذا العصر ولا يعني الاهتمام بمسايرة العصر أن ندير ظهورنا لماضينا العلمي والفكري ونلهث وراء كل جديد معاصر إذ كان لا يحقق لنا نتيجة ولا يضيف إلى ثقافتنا ما يفيد. فليس المهم الركض خلف كل مستحدث لحداثته حتى لو لم يكن وراءه جدوى وإنما الأهم الأخذ من القديم أو الحديث ما يضيف إلى رصيدنا الفكري ما يدعمه وإلى مجالنا العلمي ما يعززه.

ومن الملاحظ في مسارنا العصري أننا نجد متابعة تقليدية لكل ما يصدر عن الأجنبي ولو كان لا يلتقي مع توجهاتنا ولا يزيد رصيدنا وأبرز هذه المتابعات ما نلمسه في التحولات الفكرية والمسارات الثقافية وقد تنطوي تلك التحولات إلى شطحات . . ؟

العلاقة الجدلية التي أحاطت بقضية التراث والحداثة عمقتها إشكاليات وتناقضات مناهج التفكير الثقافي وآليات الفهم والقراءة لهذا التراث هل الأزمة هي فعلاً (تراثية ثقافية) . . ؟ ؟ أم هي في صميم المناهج للتحليل وأشكال القراءة الأزمة الثقافية متعددة الأوجه في وجه منها تراثية ؟ أي القلق نفسه كمادة جامدة في الكتب أو مادة حية في الأذهان والنفوس والأزمة في مظهر من مظاهرها هي كيف نفعل بهذا التراث الثقافي ؟ كيف نحييه كيف ننقيه بدم يعطيه قدرة على تحريك التاريخ الثقافي العربي فالتراث في حد ذاته سواء أكان ميتاً أو حياً، يطرح دائماً كيفية التناول وكيفية الإحياء والبعث والنهضة . . .

لأن المسألة لا تتعلق فقط بمجرد إخراج التراث أو إحيائه أي إظهاره إلى الوجود بلغة عصرية وفي طبعات منقحة، على الأقل التراث المعرفي، المسألة لا تقف عند هذا الحد، بل تتعلق بحاضر العرب ومستقبلهم، حيث يريدون أن يظهروا بأنهم ساهموا في تاريخ البشرية وساهموا في صنع التاريخ الحديث وساهموا في صنع الحداثة ويريدون أن يواصلوا هذا الدور فالمسألة لا تقف عند نفض الغبار عن التراث، بل استعماله وتوظيفه لإحياء الذهن للمثقف العربي وتنشيطه، لإثبات ان العرب ما زالوا قادرين على العطاء الفكري للتراث وإحيائه وهذا هو ما يطرح المشكلة. فلذلك ليس من السهل التعامل مع التراث، خاصة وأنه يسكن في مخيلتنا ولغتنا وهمومنا اليومية ووجداننا، التراث هو اللفافة التي تلفنا وتلون لون العالم بالنسبة لنا وكل نهضة وحركة لا بد أن تمر عبر التراث.

وهذا ليس من باب المجادلة ولكن الجميع يعترف به، وهو أن العرب أمة لها ماض وحاضر فكيف يمكن إذاً تحييد هذه الحضارة وهذه الثقافة وهذا التراث وتحديدها وتأويله ليخدم الحاضر ويخدم المستقبل فالتراث من جهة هو محطة افتخار وامتياز وإبداع ومحطة عبقرية للعرب. ولكنه في الوقت نفسه أصبح بمثابة أكياس من الرمال تثقل كاهل الفرد العربي والمبدع العربي والمثقف المبدع، فكيف يحول هذا الثقل إلى حاضر دينمو للتاريخ هذه هي المشكلة عندما يتحول التراث إلى مجرد أثقال . . . هنا يبدأ الصراع هو صراع إيديولوجي و ثقافي وضروري ومن ثم كانت أهمية مسألة المنهج، ومن أين ننظر إلى التراث وكيف ننظر إليه هل بالمنظور السوسيولوجي، ليحث عما تناسته الأجيال السابقة أو كما يسميها (أركون) (سوسيولوجيا النسيان)، لماذا تناسينا قضايا، أو لماذا لم نطرح قضية بعينها؟ فمسألة الصراع بين المناهج الأدبية الثقافية هي مسألة نطرحها للبحث عن الحل؟ وأن أهمية التراث ذاته، وخاصة بالنسبة لأمة ذات عمق تاريخي ليس طارئاً على الأمة العربية وإنما امتداد لها في عمق التاريخ.

فكيف إذن نتعامل مع التراث؟ وهي مسألة لن تحل في يوم أو يومين أو في عقد أو عقدين . . . ولن يحلها هذا المفكر بمفرده أو ذاك بل نتأمل ذلك مستقبلاً.

الثقافة بين الجمود والجحود

• سمير حماد

الحلم، الحرية، الديموقراطية، إنها الأركان الفقهيّة الثلاثة للعصر الذي نعيش فيه ولكن أيّاً من هذه الأركان لن يكون له نفع أو تنتج عنه فائدة ترجى أو يتمخض عنه تقدم ملموس، إلا إذا كان العقل مفتاحه، والوعي سبيله، وإذا كان الحالمون سيحتجون على مصادرة أحلامهم التي لا يقبلون تقييدها بالوعي والعقل اللذين يحدّان منها مدعين أن هذه الأحلام ملك أصحابها، وقد لا تلتقي ، فلكلٌ أحلامه على اختلاف انتمائه الأيديولوجي والفكري، من تقدمي قومي، إلى أصولي سلفي، كل يحلم حسب ما تفرزه ثقافته، وما تورّثه معارفه من هموم وأحزان، ولكن الزفرات والدموع التي تقتات منها هذه الأحلام لن تذهب أدراج الرياح، بل ستتمخض عن كثير من النتائج والأشكال يتلاقى الحالمون فيها أحياناً ويتنابذون ويتنافرون حيناً آخر، والحلم يتطور، ويتطور الناس عبر أحلامهم التي سوف ترافقهم إلى آخر الزمان. ونحن في راهن أمتنا عالقون بين طرفين يشكلان عقبة أمام مسيرتها وشرخاً في وحدة تفكيرها وثقافتها وهويتها حتى بتنا أمام تنافر لا تجاذب وأمام تخاصم لا تفاهم لأننا أمام جاحدين وجامدين كل منهما يدعي خلاص الأمة حسب رأيه وأحلامه وتفكيره. فالجاحدون لتراث الأمة يرفضون فكرها وضرورة استيعابه للبناء عليه والاستمرار به وتوليد فكر جديد معاصر على أرضية تراثية ثابتة، أي إعادة خلق التراث وتطويره ليسهم في دعم مسيرة البناء الحضاري الجديد. والجامدون لا يقبلون انزياحاً عن الماضي ولا زحزحة له بل حمله كما هو من القرون السالفة والعيش في عباءته وتنفس هوائه ومضغ واجترار منتجاته وتسفيه كل خروج عليها وعدم إعمال العقل في تحليلها للإفادة مما يناسب عصرنا وطرح ما لا يناسبه، أي إغلاق باب الحرية في البحث لاختيار الموقف المناسب، ونحن نقول للطرفين الجاحد والجامد: إن الحرية تقود إلى العقل، والعقل يقود إلى الوعي الذي يخلق القوى القادرة على تحريك المشهد العربي، وفتح باب الحوار على الذات والآخر، مع الماضي والحاضر والمستقبل، وانفتاح على العالم ومواجهته لدرء أخطار الطامعين فيه، ويبقى الإنسان هو المادة الخام التي لم تستثمر طاقتها الحقيقية بعد، لأنه لم يمنح الفرصة أو يعط الخيط الذي يقوده إلى الحرية ويدفعه للسعي إليها، إذ الحرية لا تأتي إلى أحد، والطريق إليها مرصوف بالثقافة والعلم وهما سبيل التطور والحرية، وأمتنا العربية ليست أمة جامدة، بل هي أمة تتحرك في عصرها ولها في مواجهة الاستعمار نضال مرير قاده عقلاؤها عبر تنوير الناس، وإزالة الغشاوة عن عيونهم وعقولهم ووعيهم، فالحرية عمل وليست وصفة سحرية، أو نظرية وحسب، إنها عمل ونضال، والبداية التي تقود إلى النصر وكشف الحقيقة وإزالة الوهم عمن يتوهمون الخير بالمحتل الغاصب في الوقت الذي تصبغ الدماء الأرض وتلتهم النار البشر والحجر.

إن من لا يملك الحرية، حرية العقل والوعي، سوف يكون من العبث بحثه عن الديمقراطية، وإذا كان العقل العربي مُطْبقاً عليه، ومغلوباً على أمره تتقاذفه ثقافة الخوف والتخلف والجمود، وفقه الفتنة والأوهام والأحلام الخائبة، ناهيك عن المصالح العمياء الخاصة، فلن ينعم إنساننا العربي بالديمقراطية التي هي وعي وحرية وعلم وثقافة، ومن أهم أسلحتها الفكر المتنور الذي يملك صاحبه القدرة على التحليل وطرح الأسئلة على الذات والعصر، هذا الفكر الذي لا نصل إليه إلا عبر الإطلاع على ما ينتجه العقل الإنساني والمخيلة البشرية من آراء وأفكار، نجدها في الأعمال الإبداعية عبر قراءتها واستيعاب ما تحويه من مواقف، وما تطرحه من أسئلة، حتى نتزّود بالغذاء الفكري والروحي الذي يمكننا من التطور ومسايرة ركب الحضارة المعاصرة.

إن الفنون الإبداعية على اختلاف صنوفها أسلحة تمكننا من حماية أنفسنا والخروج بذواتنا من الظلمة إلى النور ومواجهة فقهاء الظلام وخفافيش التخلف وتعنت قباطنة الجحود وناكري الجذور.

أن تقرأ، يعني أن تعرف وتعي، لكن أية قراءة؟ وأية معرفة؟ إنها قراءة مسلحة بالتحليل ومعرفة مسلحة بالتمثّل والإصرار على تطوير الحاضر، والخروج به إلى العصر، وعدم حشره في قمقم الماضي، وإلقائه في كهوفه وجحوره، بل فتح النوافذ وتشريعها على العصر ورياحه وثقافاته، شرط ألا تقتلعنا من أرضنا، وتؤثر على انتمائنا وهويتنا كما قال غاندي.

لعبـة

• روألد داهي•

• ترجمة: عوض الأحمد

تراءى للطفل أنه كان يجس بكفه سابقاً جرحاً قديماً، فانحنى ليفحصه عن قرب، قشرة وهذا ما كان يفتنه دائماً، كانت تجذبه بشكل لا يقاوم، حيث كانت تمتزج بقليل من الإثارة.

قال لنفسه: نعم سأقتلعها حتى لو كان هذا باكراً جداً، وحتى لو أنه ملتصق في الوسط أيضاً. وبئس ما أفعل إن تألمت كثيراً.

متحسساً بأصبعه بحذر أطراف أثر الجرح، وواضعاً فيها طرف الظفر، رفعها – آه. إبا لكاد – وفجأة دون أدنى مقاومة فإن القشرة السمراء الجميلة انفصلت كلها بالكامل تاركة في مكانها دائرة صغيرة وجميلة من جلد وردي ناعم.

«جيد وجيد جداً». وداعكاً أثر الجرح الباقي على الجلد، لم يعانِ أي ألم فأخذ القشرة، ووضعها فوق فخذه، وبنقرة واحدة من إصبعه أرسلها ترقص فوق طرف السجادة. أمسك كم كانت كبيرة هذه السجادة، حقاً إنها أكبر من ملعب التنس أوه ويضاف إلى هذا أنها سوداء وحمراء وصفراء، وكانت تغطي كل المدخل من الدرج حيث كان الطفل متربعاً، وحتى باب البيت هناك بعيداً جداً، كان ينظر إليها دون متعة كبيرة، وبهيئة جادة، وكأنه كان يراها للمرة الأولى.

وفجأة وجدها ظاهرة غريبة. فالألوان بدت تتحرك وتقفز إلى وجهة مبهرة إياة بغرابة حقاً.

فكر الطفل، لقد فهمت الأجزاء الحمراء من السجادة هي جمر، جمر يضطرم إذا لمسته سأحترق نعم سأحترق، وبالتأكيد سأموت متفحماً. والأجزاء السوداء لنرى؟ - حيات إنها كذلك حيات سامة مخيفة كالأفاعي والكوبرا الضخمة مثل جذوع الأشجار، إذا لمست واحدة منها ستلدغني وستقتلني وسأموت قبل وقت الطعام.

ولكن إذا توصلت إلى عبور هذه السجادة الخطرة من طرف إلى طرف دون أن أحترق أو أُلدغ عندئذٍ غداً سيُقدَّمُ لي كلب صغير كهدية.

وللحصول على نظرة أفضل لهذه الغابة المتشابكة باللون والموت نهض ورفع نفسه قليلاً. وواضعاً وجهه الرصين فوق الدرابزين – عينان زرقاوان تحت أهداب شقر، وذقن صغيرة ذات زاوية حادة – تفحص الولد السجادة طويلاً – لنرى هل سيتمكن من محاولة المغامرة – ليس له حق المشي إلا على اللون الأصفر، لقد وازن المخاطر بجدية: كان الأصغر يبدو في بعض الأماكن رقيقاً جداً. وحتى أنه توجد مساحات خطرة بدون لون أصفر إطلاقاً، لكنه مع ذلك كان يبدو مستمراً دون انقطاع حتى الطرف الآخر من السجادة. ثم ماذا؟

البارحة أيضاً قد جاب بانتصار الممر الطويل للآجر بين الاصطبلات والحديقة الشتوية، دون أن يلمس بقدمه فاختلاف واحد بين حجرين؟

تباً له! بعد مثل هذا العمل الباهر فإن هذه السجادة لا تقدم فقط تيارات صغيرة من الخوف كانت تكهربه، ورعشات خفيفة مثل وخز الدبابيس التي كانت تجري على طول ساقية، وكانت تدغدغ باطن قديمه.

لقد نزل الدرجات ببطء، وأخذ مكانه على طرف السجادة. هناك رفع قدمه الصغيرة المنتعلة صندلاً ووضعها بخفة على بقعة صفراء، ثم جاءت الثانية واتصلت بالأولى. كان يوجد ما يكفي من المكان تماماً فوق هذا اللون الأصفر ليمكث فيه وقدماه تلتصقان. وها هو ذا ما كان يفعل. كان في الطريق، ووجهه الساطع بشكله البيضاوي النقي جداً كان يتشنج شاحباً أكثر من المعتاد. كانت يداه ممدودتين على جانبي الجسم ليحافظ على توازنه. رفع ساقه عالياً جداً فوق ثقب أسود مصوباً اصبع قدمه نحو حافة صفراء من الطرف الآخر، والخطوة الثانية المنجزة ممدودة وعصبية، وتوقف ليتنفس. الرقعة الصفراء الضيقة أمامه كان طولها خمسة أمتار على الأقل. لم يتعجل متقدماً بحذر مثل بهلوان فوق حبل مشدود. هذه البقعة كانت تنتهي بنقوش عربية أجبرته على تخطي تشابك من اللونين الأحمر والأسود. ترنح في منتصف الطريق ضارباً ذراعيه بجفون كأنهما ذراعا طاحونة هوائية.

ولكنه نجح في استعادة توازنه وفي الوصول إلى الضفة المقابلة. وهناك توقف لاهثاً ليأخذ الراحة التي يستحقها حقاً العضلات متصلبة بالجهد المبذول، كان يمشي باستمرار على الحدود وذراعاه متصالبتان، وقبضتاه مشدودتان بصحة وسلامة فوق هذه الجزيرة الصفراء. كان هادئاً وواثقاً من عدم الوقوع في الفراغ. لكم كانت هذه الاستراحة ممتعة، وكم كان يرغب بالبقاء دائماً فوق، تحت ظل هذا اللون الأصفر المطمئن في ملجأ من الخطر. لكنه كان قلقاً ومهموماً كان يريد أن يقول إن الكلب الصغير يستحق الذهاب حتى النهاية. وتاركاً انسحابه الهادئ وعزمه على متابعة السفر.

كان يتقدم ببطء شديد متوقفاً في كل خطوة ليسحب بالضبط حيث يضع قدمه – وفي لحظة ما كان له الخيار بين طريق واحد على اليمين والآخر على اليسار. لقد فضل طريق اليسار الأكثر صعوبة.

- مع ذلك لأنه كان يحتوي الأقل من اللون الأسود، إنه اللون الأسود هذا الذي كان يخفيه خاصة. وبنظرة سريعة قاس المسافة التي قطعها. من المستحيل التراجع الآن. فالقسم الأكثر صعوبة قد أنجز وبمقدار النصف تقريباً، ومن غير المفيد أن يحاول الهرب بالقفز جانباً فالسجادة كانت عريضة جداً. لا، من الواجب أن يستمر مهما كلف الثمن لكنه أمام كل هذا اللون الأحمر وهذا اللون الأسود أصيب برعب، نفس الرعب الذي أحس به السنة الماضية في عيد الفصح عندما شرد في الركن الأكثر ظلمة من الغابة.

هيا، خطوة أيضاً، وضع قدمه فوق القطعة الوحيدة من اللون الأصفر القريبة منه. هذه المرة كان يفصله بالكاد سنتميتر واحد عن هوّة سوداء.

لا، لم يكن يلامسها كان متأكداً جداً من ذلك كان يرى جيداً الخيط الأصفر في آخر نعله، ومع ذلك فكأنه كان يشعر باقتراب العدو، ماجت الأفعى ونصبت رأسها الفظيع ذا العينين الصغيرتين اللامعتين متهيأة للعض عند أقل ملامسة لها.

«أنا لا أمسكم فلا يجب عضي، أنتم ترون جيداً أنني لا أمسكم» وبصمت، حية أخرى انزلقت بالقرب من الأولى، ونصبت تجاهه أيضاً رأسها مهددة: رأسان وزوجان من العيون كانت الآن ترصد هذه الزاوية من اللحم البشري دون دفاع. علناً وأمام سير الصندل. ارتقى الطفل خائفاً فوق الحدود، ومضت دقائق طويلة قبل أن يجرؤ على التنفس أو التحرك.

كانت الخطوة التالية صعبة. خطوة حقيقية لعملاق. كان يتوجب الاجتياز من هذه النقطة الأكثر عرضاً. اجتياز هذا النهر المائج بالسواد والذي كان يعبر السجادة من طرف إلى طرف. أيحاول القفز؟ لا فلم يكن متأكداً من هبوطه فوق البقعة الصفراء الضيقة في الجانب الآخر.

أخذ الطفل نفساً عميقاً ورفع ساقه ومدها إلى أبعد ما يمكن بعيداً جداً جداً أمامه، وأنزلها شيئاً فشيئاً، ووضع أخيراً طرف القدم على طرف جزيرة صفراء وعندئذ انحنى لينقل إلى الأمام كل ثقل جسمه، وليقود القدم الأخرى دون أن يوفق إلى ذلك. فساقاه كانتا مفتوحتين جداً ومن المستحيل العودة إلى الخلف. كان ينحرف جانباً كثيراً، وكان محصوراً، فأخفض عينيه، ينظر في النهر العميق الأسود والمتحرك، يدب وينزلق لامعاً ببريق مشؤوم لزج، تمايل هازاً بشدة ذراعيه ليستعيد توازنه ولكن بلا طائل. كان قد بدأ يفقد القدرة على الفعل، أو يقول. كان ينحني نحو اليمين حيناً، وكان ينحني نحو اليسار ببطء، ثم سريعاً أكثر فأكثر، وفي اللحظة الأخيرة مد يده غريزياً ليخفف سقوطه، ورأى عندئذ هذه اليد العارية تغوص في كتلة زاخرة بسواد لامع فأطلق صرخة هلع طويلة.

وفي الخارج تحت الشمس وبعيداً خلف المنزل كانت الأم تفتش عن ابنها.

• روألد داهي: كاتب فرنسي ولد عام ١٩١٦ في غالواز بين فرنسا وألمانيا من أبوين نيرويجيين، له عدة مؤلفات منها (ديسديس) و(وبيزابيزا) ومنه أخذت هذه القصة

قبل فوات الحكاية

ضمن سلسلة الدراسات من إصدارات اتحاد الكتاب العرب صدر كتاب جديد للباحث الدكتور نضال الصالح حمل عنوان "قبل فوات الحكاية- دراسات في القصة العربية القصيرة".

يضم الكتاب ثلاثة مداخل: الأول إلى القصة القصيرة في سورية، والثاني إلى مثيلتها في الخليج، والثالث إلى توأمهما في المغرب العربي، كان المؤلف قد أنجزها بتكليف من مركز دراسات الوحدة العربية ضمن مشروع "حصيلة الثقافة العربية في القرن العشرين"، ثم اثنتا عشرة دراسة لأربع عشرة مجموعة قصصية كتبها اثنا عشر قاصاً وقاصة ينتمون إلى ستة أقطار عربية، ثم مقاربة لتسعة نصوص قصصية نشرتها مجلة "الموقف الأدبي" الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب في عددها (٤٧٩) آذار ٢٠١١، ويختتم الكتاب بمعجم للقاصين الذين كان لنتاجهم درس نقدي خاص به في هذا الكتاب المتميز..

مـرارة الكلمـة

• سليم عباسي

دخان كثيف يتبعثر بشراسة في المكان ، ومن خلاله تبدو سيارات الإسعاف بضجيج أبواقها مع نحيب وبكاء وخطا مسرعة لجوجة تبحث في المجهول ..

وأنت أيها الأب التائه بين الحطام والجثث .. أما كنت البارحة تعيش على جناح التأمل ؟ ! ترى فلذة كبدك طبيباً ناجحاً .. تراه مخترعاً محلقاً .. تراه وتراه ..

ومن ثم ..

بغتة تهوي وترتطم على صخرة الواقع الأليم .. تسأله :

ماذا أصابك يا ولدي ؟ ! لمَ أخذوك مبكراً من ملاعب الطفولة ؟ ! لن يجفّ دمك ما حيينا لَيكون شمساً للقادمين ..

تضع راحة يدك على جبينك ، وتغيب عن الوعي ..

يطرق سمع الأم صوت من هناك :

أمي ! لماذا تأخرت بالمجيء ؟ خرجتُ مسرعاً من المدرسة لأسلمك هدية من صنع يدَي بمناسبة العيد ، ولكن يا للهول ! أحسست بالأرض ترتج من تحتي ، والسيارات تتحطم والأولاد تتهاوى .. ولم أدر ما حدث بعد ذلك ..

لم يطرق صوته سمع الأم فحسب ، وإنما سمعه رفيقه خالد الذي راح يطمئنه قائلاً :

وجدت دفاترك وكتبك مبعثرة على الأرض فلممتها ونفضت عنها التراب ، وأعدتها إلى الحقيبة ، ولو أنها لم تعد لها قيمة من بعدك .. !

وهل وجدت الصورة الملونة للقلب ؟

شاهدتك وأنت ترسمها وتلونها ، ألسنا نجلس في مقعد واحد ؟ كنت تقول لي (إني أحب اللون الأحمر) فلوّنت القلب بالأحمر وكتبت (أحبك يا أمي الغالية) . هل تعلم يا صديقي أني وجدتها مغطاة بالأحمر ، حتى إن دفتر الرسم كله كان مشبعاً بهذا اللون ! وقد عرفت للتو أنه شرب من عروقك .. من دمك الطاهر !

مع ذلك ، أطلب منك أن تقدمها إلى أمي معتذراً لها بالنيابة عني لهذا التشويه .. وأودّ أن أسألك عن حقيبة رفيقي أحمد . فلقد أوصاني أن أبقيها معي ريثما يدخل الحمّام .

للأسف يا حبيبي الغالي ! لم أجدها ولم أجد إلا أشلاء من جسده ! وقد سارع المسعفون إلى جمعها في كيس بلاستيكي ! ولم أعثر إلا على دفتر صغير له مدوَّن عليه اسمه واسم مدرستنا (عكرمة) .

غامت الدنيا في عينيه ثم عاد للحديث مع أمه بصوت بريء مرتجف :

هل تعلمين يا أمي أن الآنسة أعجبت بالواجب والأجوبة التي ساعدتني أنت في كتابتها ؟ أخبرك أن الآنسة زيّنتها بالعلامة التامة - عشرة !

تصفعها مرارة الكلمات وتنهمر الدموع غزيرة من عينيها ، وتتذكر ما عملته من أجله في المطبخ :

يا حبيبي ! يا حبيبي ! كم كنت فرحة بالأكلة التي تحبها ! لقد أعددتها من أجلك ، وها أنا الآن أبكي وأتألم لما حدث لك .

لا تبكي يا عزيزتي ، فالآنسة قالت لنا (إن الشهداء أحياء عند ربهم ، وإننا منتصرون) ، وعلمتنا الصمود والشجاعة ، فكوني كذلك ولا تحزني ..

يدور ويدور في رأسه الصغير قول الآنسة ويذكّر صديقه خالداً بتلك الكلمات ويطمئن بها أمه .. لا تبكي .. لا تبكي .. إننا منتصرون .

•

تدور عقارب الوقت .. يجد نفسه مع رفاق له في صف لا كما عهده في مدرسته ، كل واحد منهم على حدة ، يلفه علم الوطن ، فلا حاجة لتحيته عند الصباح ، لأنه الآن معه حيثما يذهب ، لا حاجة لثياب المدرسة فهنا ثياب خاصة ، لا حاجة إلا لكلمات الآنسة (أحياء عند ربهم .. وإنا لمنتصرون) .

قصص قصيرة جداً

• خضر الماغوط

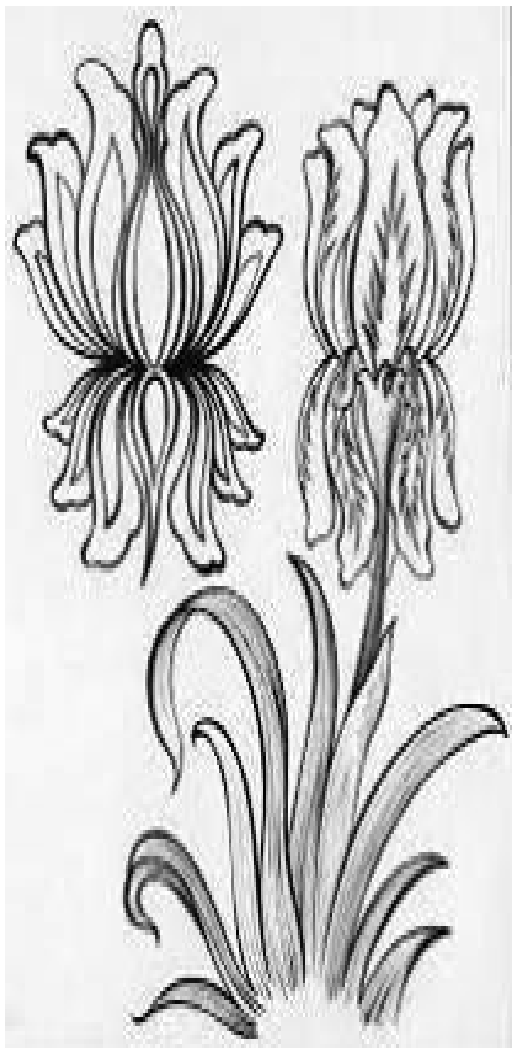

١

نبَّاشُ القمامة

لم أكن مهتماً بمراقبة حاويات القمامة أبداً ، لكنه أطل برأسه من بين نفاياتها وناداني كان يحمل بيد حذاءً عتيقاً بالياً، وفي اليد الأخرى لوحَ لي بكتيب صغير أنيق الشكل . سألني هل لهذا الشيء قيمة تشبع الخبز يا أستاذ ؟.

تصفحته قليلا، ثم قلت له : هذا بيان حقوق الإنسان يا صديقي فرح بالحذاء وضمه إلى صدره، وأعاد البيان إلى مكانه .

.....

٢

تواصل

أتجول في شوارع مدينتي، أتفقدُ أصدقائي الذين تحولوا إلى أوراق نعوة ملصقة على جدرانها.

أتحدثُ معهم، أكلمهمُ، ورقةً، ورقةً .

.....

٣

كف العفريت

لم أتخلف عن لهفة اللقاء، فقط سبقتني الحربُ إلى موعدها، وضعت باقة الورد على موكبها الأخير، أوصيتُ صديقي، أن يُجهزَ باقةَ ورد لي .

.....

٤

النمور في اليوم الحادي عشر

وفي اليوم الحادي عشر، هرب النمر من قصة «زكريا تامر»، ليرجع نمراً، ويترك حياة القطط . لم يجد الغابات ولا الأحراش .

على أول مزبلة ، التقى حبيبته النمرة، كانت تبحث عن طعامها، قبيل السؤال، أجابته صرنا كلنا قططاً، تمنيت غيمةً تظللنا من حرارة الشمس الحارقة، فهطل المطر سيولاً، أزاح بطوفانه كل الطعام عن المزابل ، هل تحب المطر ؟.

صدر عنه صوت مواء القطط :

إن قلتُ (نعم) أو قلت (لا) ، لن يتغير حالنا ، إذاً ماذا و لماذا ؟.

سرعان ما قفز ، عائداً حبيس القصة، راضياً بما كان في اليوم العاشر .

.....

٥

العقدة

صديقي الذي أصابه الخرف مبكراً، يتلذذ بارتياد المقاهي منفرداً

يطلبُ الشطرنج، مع فنجان القهوة، غير آبهٍ لاستغراب النادل، عدم وجود لاعب آخر .

بعد أول رشفة من قهوته، يستغفل النادل، والحضور، والمخبرين، ويسرق الملكين والوزيرين، يخفيهما في جيبه، يدفع الحساب ويخرج مسرعاً في الشارع، يلقي مسروقاته بأول حاوية، يوزعُ ابتساماته في كل اتجاه، ويتنهد مرتاحاً .

.....

٦

الدولار

فتح نافذةً يطلُّ منها، في مقدمة حذائي، ذلك الأحمق الإصبع الكبير في قدمي، يتفرج على أحذية الواجهات ليست المشكلة خطيرة جداً، فقط احتشاء العضلة القلبية .

.....

٧

تيمُّن

ما إن بدأ القصفُ، حتى أسرعَ الناسُ إلى ملجئٍ متصدع

الصبيُّ الذي ما زال يتأبطُ كتابَ الديانة المدرسية، كتبَ على البوابة عبارة (غار ثور)، واثقاً بالحمائم التي ستأتي وترقد أمامها، والعناكبُ التي ستنسج شباكها حولها .

صاح بالخائفين :

لا تخافوا إن الله معنا .

.....

٨

متاهة

احتار المخبرُ المسكين في اتجاهي، مع كل تتبعٍ يراني داخلاً بوابةَ حزب، وخارجاً من بوابة حزبٍ آخر، وفي يدي ربطة خبز .

إنه دمي

• محمد حمدان

والسحابة والنوِّ:
هذا الطويل الطويل فراتُ دمي
كان يمشي على مَهَلٍ
واثقَ السهم
بوصلة العشق تعرف درب أحبَّته
وهو الآن يركضُ
من مأتم في عروق البلاد
إلى مأتمٍ في ضلوع الثكالى
وفي العدوتين هما مأتمي
• • •
يا دمي!
من صعود إلى جبل النارِ
تدفع صخرة حلمكَ أعلى
وتشعل مبخرة الغيم بأساً دؤوباً
هبطتَ إلى دَرَكٍ
في غيابة جبٍّ،
سحيقِ القرارِ
عديمِ الصدى
مبهمِ.
• • •
يا دمي!
أين، أين ملاعب عزمكَ؟
أين غوارب أمواجه؟
والنوارس تنسج أبيضها من حروفِ
شراعِ
يجوبُ المدى بين أروادَ والأطلسيّ
أين، أين نخيلك؟
تحدو قوافلَهُ نفحةٌ من صبا الشامِ
تزرع فتنتهُ في عيون الصبايا
وقاماتهنَّ
وتملأ من سحره هودجَ الصبح
والصبح ينثر ضحكتهُ ياسميناً
على رملنا العربيّ
• • •
أين، أين الجنوبُ الذي صدقَ
الوعدَ
قلبي يذوب حنيناً إليهِ
وخوفاً
على معقل الكبرياء الذي
صاغ وجداننا من غضار الندى
أملاً
لا يزال يقاومُ سيل الدجى المظلم
يا دمي!
يا دمي!

وغداً لمّا..!

• محمد الزينو السلوم

هل ما يجثم فوق الصدر تزاحم في لون الصمت
تفاقم في كلكله، ومضى يدفع بالويلات إلينا؟
ماذا..؟ ألهذا كلّ عواصم هذا العالم راحت ترمينا بنوازعها؟
ماذا يجري؟ أحسبه الليل تمطّى ينزع عنا الصبر جهاراً
أشباح تنذر بالشؤم تساقط منها ما كان يغطّي عورتها
وبدا المحظور يكاشف ما يتبدّى
#
وتلفّت حال الحاضر ينزع عنه الخوف قناعاً
كان يجاهر بغياب طالَ ولا أحدَ يقامر في نزع فتيل الخوفِ
وراح الجرح يلوّن بالأسود بهجتنا
حال النزف قصيٌّ.. لكنّ براكين الليل تصارح بالآتي
وعواصف تجتاح "دمشقَ" لتطويَ صفحتها
فيما لا تجترُّ جناهُ من قبلُ وفي" الأقصى" تندب "ليلى" حظاً
"قيسُ" انكفىء وراح يخاصر دمعتها الثكلى
وذئاب الليل تجاسر في غيٍ يدفعها لعواءٍ لم نعتد أن نسمعه
تتشدّق بالوهم الساكن في جعبتها
تتلوّن ألوان الحرباء وتمضي
#
تصرخ "ليلى" آه يا وطني.. ماذا يجري؟
"بغداد" تلازم دمعتها..في"غزة" شبحٌ
ما عدنا ندرك نزعته أو نزوتهُ
وبـ"مصر" الأهرامات تأذتْ وتداعت خوفاً، هرباً
تخفي الرأس، وتحني الظهرَ لوادٍ ليس بذي زرعٍ أو ضرْعٍ خجلى
و"طرابلْس" تنادي لا منقذ من ورطتها
وهناك وخلف كواليس "الغرب" على أعتاب كوابيس "العرْبِ"
تحاك قضايا يخجل تاريخي منها
كلّ رزايا الخزي تؤجّج فيها
#
الليل يجاهر بغيوم تطوي ما يتباهى النجم به
والقمر يشارك فيما يتبدّى.. لاضوء ولا..
أسأل: ماذا يجري.؟
يا هذا الساكن فينا.. ما عاد الصمتُ
يُبدّد في الأعماق تحابيل النزعةِ
يضرب بالحلم بعرض الحائطِ
هيّا يا وطني الصامد:
حطّم كيد الدخلاء وأمطرهم وابل زخمكَ
وازرع نجواك بما يأتي
#
برقٌ، رعدٌ، وعواصف تجتاح فلول العدر
تبشّر بقدوم يفتح شرفات العمر على النجوى
تحقّقَ أملٌ مزروعٌ في واد ذي زرع.. ذي ضرع
والفجر تجلّى بشّر بالشمس تُفاجئ ما يتماهى في أنفسنا
ينزع عنا المحظور، ويطوي صفحات كادت تزرعنا في غيهب بؤسِ
ينمطّى الصبح يجاهر ويحاصر أوهاماً كادت تزرع فينا اليأسَ ولكنْ: راح القلب بلا خوف ينتصب كواحات النخل بصحراء تجافي عنها المطرُ،سرابٌ فرّخ، غشّى العينَ بلحظة ضعفٍ.. ثمّ تلاشى
عادت أسئلةٌ تطرح نفس الأمر علينا
ما نفعل يا ليلى؟
#
راح البحر يصاهر ما كان يصارع أفكار العاشقِ
أو ما تبعثه عواصف رملٍ لا ترحم، وتماوجُ
زخم غبار الأيام الحبلى بالوهم ولا جدوى
ما يزرعه الحلم بقلبٍ أتعبه الليلُ يعزّر رحلتنا
ماذا يفعل قلب العاشقِ حين تطارحه النجوى؟
#
تتصاهل صرخاتٌ لم تسمعها الأذن ولكنْ:
حفرت في الجسد الأنفاق، ونصبت في الروح الأفاق، أعادت دمنا دفّاقاً يجري مثل النهر ويرسم في الأعماق البشرى
هيا نفتح للشمس نوافذنا..؟ لا نتركها تتفاقم بلوى
أنتظر القادم.. فـ"دمشق" بدت وكأنّ العرس يغارب ويداعب فتنتها
وغداً لمّا تطوي أجنحة الليل، وتقصم ظهر البلوى
ستخاصر فرحتنا بالنصرِ.. تصفّق فرحاً بجناحيها
تصعد للقمة نسراً، تصعدِ.. تصعد.. حتى..
فدمشق تأذّت لكنْ نالت بعد مخاضٍ ما تبغي
والقادم أحلى .. أحلى.!

•محمد الزينو السلوم: شاعر وناقد سوري من حلب، له العديد من الإصدارات الشعرية والنقدية والدراسات الأدبية والفكرية – عضو اتحاد الكتاب العرب في مصر.

خيمة

• رمضان إبراهيم

(ما فيه حدا ممكن يوصّل الخبر لأهل أحمد إلاّ أنت).

قالها الملازم أول وهو مطرق باتجاه الشفق. الشمس التي كانت تجرجر دفئها لتلقي بجسدها الأحمر في سرير المحيط بكّرت هذا المساء . زفر بعمق والغصّة تكاد أن تأكل حنجرته فمن غير المعقول أن يبدو ضعيفاً في هكذا موقف. على الأقل هذا ما عوّدنا عليه في حالات مشابهة خلال هذه الحرب المجنونة :

لا تتأخر ..

قالها بعد أن ربّت على كتفي وغادر باتجاه خيمته.

جلست على السرير وفي ذاكرتي مئات الصور والقصص التي تبادلناها سوية أنا وأحمد .. هو الآتي من عمق الريف في محافظة طرطوس وأنا الآتي من أحضان جبل العرب الأشم .. كنت أدهش كثيراً عندما كان يحدثني عن بعض العادات والتقاليد وعن الطبيعة الرائعة التي لا يرتضي بديلاً عنها فقريته كما وصفها هي قطعة من الجنة على هذه الأرض .. كان يختتم الحديث قبيل النوم بالقليل عن حبيبته أمل . أما أنا فكنت أحكي له عن مدى عشقي لمياه نهر اليرموك والبحيرات الصغيرة ورحلات الصيد على ضفاف النهر وأغاني مواسم الحصاد دون أن أجرأ على ذكر اسم حبيبتي أمامه.

لملمت بقايا أمتعتي المتناثرة على سريري، وضعتها في صندوقي الخشبي، ذاك الصندوق الذي رمّمه أحمد بعد أن انتهينا من عملية الرمي ذات يوم، وضعت صحن المرملاد والزيتون على يمين باب الخيمة . ركّبت أحد المخازن في مكانه على بندقيتي ، ألقيت نظرة على سرير أحمد ، حملت دفتر ذكرياته التي حدّثني عن معظمها، اغتصبت ابتسامة لبرهة وتذكرت كم كان يتمنى عليّ ألا أقرأ ما يكتب . دسسته في الحقيبة الظهرية ، ثبتها على ظهري ، أغلقت باب الخيمة وانطلقت عبر الخندق الذي يوصل إلى الطريق العام.

عندما دعانا قائد المجموعة لاجتماع طارئ قرأت في عيني أحمد فرحاً لم يكن قد بدا لي من قبل كان أول الواصلين إلى ساحة الاجتماع ، لم ينتظرني كي أرتدي بقيّة لباس الميدان ، كان يحرص دائماً على أن يبقى في حالة جاهزية كاملة .. كان قائد المجموعة قد اخبره بالأمر على ما يبدو فور وصوله. ما أن دخلت مع بقية أفراد المجموعة حتى رفع علامة النصر. اقترب مني وهمس :

بدنا نعمل كمين .

طلب منّا قائد المجموعة الالتزام بالصمت حتى يحضر الجميع . ما هي إلاّ دقائق حتى تفهّمنا المهمّة فالمكان يحتاج لمسير ليلي بسريّة تامّة .

ها قد جاءت اللحظة الحاسمة .. انتظرتُها طويلاً.

قالها أحمد ثم حدّق في وجهي فقرأت على قسماته بشائر وعلامات الانتصار .. احتضنني بقوّة أحسست أنها كافية لتكسر أضلاعي ثم قال : - - إذا صار لي شي أمانة سلّم على أهلي كتير وشوف أمل واعطيها الدفتر.

لا أعلم في هذه اللحظة لماذا أحسست أنها المرّة الأخيرة التي سنلتقي فيها لكن وكي نخرج من الحالة التي وضعني بها أحمد دفعته برفق وقلت له : (يا صديقي شو بدّك بالجنة إذا كانت ضيعتكو قطعة من الجنة وعندك فيها حوريتك اللي ما بتبدلها بحوريات الأرض) . ضحكنا سوية وبدأنا في تجهيز ما يلزم للكمين .

عبر تعرّجات الخندق كان في كل منعطف قصّة حكيناها أنا وأحمد ونحن نراقب حدود المعسكر ولا أنسى أنه كان يتمنى كلّما رأينا حافلة كبيرة تتجه شرقاً عبر الاوتستراد لو بإمكانه أن يغادر إلى قريته لساعات يرى فيها والدته وأخيه الصغير وكنت أمازحه وأسأله عن شوقه لأمل فكان يقول لي: - يعني ما بدها كتير ذكاء .. واضحة .. أنت دائماً بتحاول تشعل النار وتتفرّج .

كنّا كلما وصلنا إلى الأوتستراد ينظر في وجهي ويقول :

إذا صار عندي سيارة أو حتى دراجة نارية أو هوائية وكان فيه عسكري ناطر سيارة أقسم بكل خطوة مشيناها وكل دقيقة قضيناها على هالطريق رح وقف وآخدو معي .

كنت أضحك كثيراً وأهز رأسي وأقول :

الناس جميعاً يتحدثون بهذه الطريقة طالما لم يمتلكوا سيارة أو دراجة ولكن بعد أن يقتنوا تلك الآلية اللعينة التي تُدخل في نفس البعض شيئاً من الغرور يتناسوا كل الخطوات والدقائق بل وحتى الساعات التي قضوها بانتظار سيارة أو حافلة تنقلهم إلى حيث يذهبون.

الفتاة التي كانت تجلس بجانبي في المقعد كانت تحمل بيدها هاتفاً خليوياً كانت نغماته تقطع سلسلة ذكرياتي وكانت تنظر إليّ بين الحين والآخر نظرات مبعثرة فتارة أقرأ فيه الاحترام والإكبار وتارة أقرأ فيها عكس ذلك فقبل اندلاع الأحداث تقدمت لخطوبة فتاة من قرية مجاورة ..كان رد والدتها أنهم لا يزوجون ابنتهم لعسكري فوالدها قضى سنوات عمره في الجيش وقد عانينا (كما تقول السيدة) ما عانيناه من تنقلات وأجور سكن وما شابه ذلك وقد اقسمتُ على ألا أزوّج ابنتي لعسكري حتى ولو كان في مفرزة حدودية أو على أحد الحواجز.

(ياسبحان الله كيف تغيرت النظرة إلى العسكري وبات حذاؤه يشكل علامة فارقة في الساحات العامة والشوارع الرئيسة بعد أن أقاموا له منصّات ووضعوا في فوهته باقات من الورد .)

استقليت سيارة تكسي من كراج الانطلاق في طرطوس حيث الازدحام على أشدّه في هذه المدينة التي لم تشهد شيئاً من الأحداث ولولا العدد الكبير من الشهداء لكانت خارج دائرة الضوء وخارج دائرة الحدث . في طرطوس تمشي في أي ساعة تريد تجد ما تطلبه من مواد مهما كان نوعها صحيحٌ أن بعض التجار قليلو الضمائر قد استغلوا الأزمة ولكن الأكثرية يمتلكون حسّاً وطنياً فاق التوقعات . إضافة إلى ذلك فهناك الكثير الكثير من الأسر التي نزحت إلى طرطوس من مختلف المحافظات فباتت هذه المحافظة تشكل صورة مصغّرة عن سورية .

هذه المرّة الثانية التي آتي بها إلى قريته ففي مرة سابقة رافقته بعد أن جاء في المركز الأول في اختبار الرياضة وجئت أنا في المركز الثاني .. حصلنا على مغادرة ٢٤ ساعة وفجأة قال لي ستذهب معي إلى قريتي لأعرفك عليها وعلى أهلي ثم لا تكفي ٢٤ ساعة كي تغادر إلى جبل العرب .. ستقضيها على الطريق . وأضاف وهو يبتسم :

الحق على أبوك .

ولم يجب عندما طلبت منه تفسيراً بل أضاف :

لا تضع الوقت سنقضي ساعة أو أكثر على الاوتستراد هل نسيت ذلك؟

قبل الخدمة العسكرية زرت معظم المحافظات أكثر من مرة بحكم عملي في أحد المصانع باستثناء محافظات الساحل ورأيت بيوتاً كثيرة كبيرة وصغيرة حجرية من خشب وطين أو على الطراز الحديث لكن منزل أحمد لم يكن يشبه بيتاً من البيوت التي رأيتها. كان منزلاً صغيراً مكون من غرفتين وملحق صغير منفصل يشكل ماسمي المطبخ. كان مطلياً بشكل عشوائي بألوان مختلفة، كان غارقاً في خضرة أشجار الجوز والتوت .. كان أحمد يحدثني عن جولات الصيد التي كان يقضيها تحت شجرة التوت .. كان يقول لي :

اللي فيه بحبة الضغط يقتل دوري فيه بطلقة روسية يقتل إرهابي حقير.

كان أحمد دائماً يحصل على علامة تامة في الرمي .

تخيّل أن تكون أمامك أمرأة في الخمسين .. ضعيفة ومهلهلة الثياب تنظر إليك برعب ودهشة وأنت تقترب من مدخل البيت . انت غريب ، ضيف ، شاب ملتحي ، تحمل سلاحاً وهذا يكفي كي تثير الدهشة والرعب .

ابتسمتُ كي أبدّد تلك النظرة وقلتُ لها :

يبدو أنك لم تتذكري ملامحي ياخالة ؟

أهلا وسهلاً .. أكيد أنت رفيق أحمد .. صاير معو شي لاسمح الله ؟!. هالمرّة تأخر كتير علينا ؟!. بحياة امك صاير معو شي و...

قاطعتها ومددت يدي مصافحاً .. قبلت يدها .. لا اعلم لماذا أحسستها أمي في تلك اللحظة :

مهلا ياخالتي .. أحمد بخير ان شاء الله.. ألا يوجد أحد هنا سواك؟!. عمي أبو احمد..

تنهّدت بسخرية وعادت لتسألني عن أحمد :

استحلفك بالله هل حدث لأحمد مكروه .. أخبرني عنه وبرّد قلبي .. لا أعلم لماذا أحس وكان ناراً في صدري منذ أيام .. لقد اتصلنا على هاتفه الخليوي ولكن دائماً خارج التغطية .

هاجمتني دموعي ولكن زجرتها وتصبّرت وقلت :

في المنطقة التي نعسكر فيها لا يوجد تغطية يا خالتي .. احمد بخير وسعيد جداً ويهديكم السلام ..

لم تدعني أكمل كلامي إذ اغتصبت ابتسامة شاحبة وقالت :

لا تواخذني الله يرحم أبوك .. وحياة الله نسيت جيب شي ضيّفك.. أكيد جوعان يا خالتي.

نهضت بهيئتها المثقلة بالحزن والهموم واختفت خلف باب الغرفة الثانية .

لا اعلم لماذا بدأت أعصابي تتآكل وبدأت مفاصلي تهتز .. أحسست وكأن الدنيا تدور بي .. نظرتُ إلى الأعلى .. حدّقتُ بغبش كان يظلل وجه السماء ثم ما لبث أن زال سريعاً وإذا بوجهٍ يشبه وجه احمد .. كان سعيداً وفرحاً بين عدد من رفاقه .. هزّ رأسه .. حاولت أن اكلمه .. أن اسأله كيف سأخبرهم بالأمر ولكن لا اعلم كيف اختفت صورته قبل ذلك.

وضعت المحفظة التي فيها راتب احمد والدفتر وبعض حاجياته الشخصية التي كانت في الخيمة على الطاولة وغادرت تاركاً المكان وقد أثقله حزنٌ عميق ..

قبل أن ابتعد مسافة طويلة عن البيت سمعت بكاء ثم أعقبته زغرودة ملأت الكون فرحاً وضياء .

أيقونات الوحشة

• منير خلف

(١)
رحلة

الأفضل أني لا أذكر شيئاً
حين خرجتُ من ال....
لا أذكرُ أشياء تخصّ الرحلة...
رحلة هذا الموتِ الأخضر.
..حين تذكرتَ
ظننت بأنّ الجرح
سيبقى مشغول القلبِ،
وأني لن أتذكّر إلا نسياناً
يشطبُ ما في الذاكرة العمياء
من الأوقات،
يُمسكُني
في البعد الأعتى من قلبي،
يقذفني....
.....
فوق
رصيفِ الأموات

(٢)
ضيف

وجعٌ في الروح
وفي الذكرى،
وجعٌ يحرثني،
ويزيد تألّق أحزاني.
وجعٌ أخشاه وأحرسهُ،
وجعٌ يمتد
إلى حيث أكون
وحيث أغيبْ.
وجعٌ
قد جاء يؤاخيني،
وبقلّم غفلة أيامي
وجعٌ قد أجّلَ أحلامي،
وجعٌ أدمنني
وبكاني،
وجعٌ أدمنت مهارته وهواه،
فظننتُ بأني أتماهى فيه
وبأني أهواه.

(٣)
حارس العدم

لم ينتبه أحدٌ
لخارطة الشقاءِ
على بقاع القلبِ،
لم تلدِ القصائد بعد...
..لا
لم ينتبه أحدٌ لصمتك،
لم تفاجئكَ الضحيّة
حينَ كنتَ تمدُّ عمرك
للقريب وللغريبْ.
وَضَعتكَ ظمأى
قبل نفخ حمامةٍ
أعراسها
في جيد حنطتها،
وغابتْ قبل أن تهتزَّ
أشجارُ الكلامِ،
بفعل رغبتكَ الجموحة
في انتظار حبيبةٍ،
قطعتْ يدَ الذكرى لآخرَ
والمحبّ يفتّق الأوقات
ثم يزيّنُ
العمر المُطيّبَ للحبيبْ.
لم ينتبه قلبي
لوقْع رؤاك،
يا دمع الذي لم يبكِ بعدُ
ويا مراثي لمْ تلدْ.
مرَّ الغزاةَ
أمام قلبكَ
واستراحوا تحت جفنكَ،
واستباحوا ساكناتِ الروح والأكبادِ،
وانتشروا،
وحوصرت الشّموعُ،
وغُلقت أبواب حلمكَ،
لم تعد أحداً..!
ولا أحدٌ سيبكي
خلف موكبك المسافر
في التبدُّد
لا أحدْ.

(٤)
وحشة المعنى

وجعٌ..
كقامة جرحي العاتي
يُشرّدني،
ويبعدني
عن اللذات،
عن تاريخ أشواقي
وعن قلبي،
وعن درب
يضيء مفاتن الذكرى،
يسطّر صرختي
في كهف ليلتي العقيمةِ
لا يؤرخ في دمي
إلا هديل الآه
في ترحال أعصابي.
.. أنادي كلّ منْ مرّوا
أمام شريط أيامي،
ولم يتعرّفوا
إلا إلى شبح بدائيٍّ
يفسّر وقفتي
وخشوع قلبي
وهو يرفل
بين أنهار التأوّه
في صلاة الآيسينْ.
يا طائر النوم..
القريبَ.. المستحيلَ
من الوصول إلى ضفاف تفجّعي!
كم صخرة
علقت بغيم الغيب
كم رحلت طيور الروح
وارتاحت
على شطآن وحشتها المديدة،
قطفة
من حشرجات القلب
تلبسني قميص الرحلة العمياء
تسحب خيل أحلام،
وتتركني...
بلا أهلٍ
ولا دمعٍ قريرٍ
لا حبيبٍ
كي يفتّش عن غيابي،
..لا يدٍ
كي تسند الأيام
أو عمرٍ يراق
ولا أنينٍ

(٥)
صوت الغريب

أخذوه خلف الغيب
واختصروا الطريق
إلى الحياة،
وكان يعشق ما تفتّقه الحياة
على بيادر صوته الناري
كان يحث أحصنة الرياح
إلى النجاة
يشدنا من قاع هذا الويل،
يأخذنا إلى جبل الدماء الخضر،
كان يعلّم الأطيار والعشاق
أن الشمس تهطل
خلف ذاك الغيب،
والأحلام تفرش
والفساتين الجميلة،
والبيادر
والحبيبة تبدأ استقباله الذهبي،
والدنيا بدْ.
أخذوك
يا دمع القرنفل
يا نشيد القادمين من الفجائع
يا محطتنا الأخيرة..!!
يا حنين الذاكرين
ويا حريق الراحلين
ويا كبير الحالمين
ويا مودتنا الخبيئة والحميمة
شرّدوا أحفاد غربتك العقيمة
تحت ظل "الاقتصاد"
وفتّشوا في ركن قلبك
عن بلاد
لا تفتّشَ عن أحد.
أخذوك،
واقتسموا حصاد القلب
..لم يكُ في البيادر
غير أشلاء الرياح،
وإرث شعبٍ تائه
غطّى عيوب القيمين
على قصور الذكريات
الزارعين الموت
في حقل الطفولة،
لن ترى غير الحنين
إلى عناقيد الأبد.

(٦)
أزداد فقداً

أزداد على شبّاك الفرقة
فرداً... فرداً
يحرثني ندمي الجائر،
تشتّد عظام الوحشة
في جسدي،
وأصير غريباً منهدّا
يلطف بي حبق العتمة
لا أروي عن نفسي
خيبة رؤيتها،
لا أسبق الاحزان
ولكن أهرقني أني كنت
أعدّ مآتم قلبي عدّا،
حتى صرت ربيباً
بين فواجع
لم تفقه بعد
سبايا طعنتها
لغة الأضداد وأن الوقف
بباب الحلم
كأول قلب
فتح الحبُّ شبابيك معانيه
لا يضفي فوق تصابيه
الغارق في الشرفة
إلا فقدا.
••••

(٧)
إلكترا

تتغنج في دمها
تلقي كلّ براءتها البيضاء
على ساحل قلبي،
وتغطّ مع الأحلام
بدفء القبلة
تقرأ فنجاني الفارغ،
لم أشرب بعد
سوى نكهة هذا الغائب
عن جسد الغيمة،
ترسم ضوء الخوف
برمش الرعشة
تحصد كلّ مواسم فرحتها،
وتغنّي
في عدمي.
••••

(٨)
كأنها...

أجرّ في الظّلام ظلّها المخبوء
باسمها على تنهّد الطريق
كأنها مسافة تنقط الحروف
حول شكلها الأنيق
كأنها مسبحة
تقبّل الأصابع العجوز
في نهاية البريق
أو شرفة لعاشقٍ يطير من سماء قلبه
كنار حزنه العميق
فربّما أجيز غربتي
وأمنح الغريب في قصيدتي
فردوسها الجديد
في معارج الحريق
••••

أمي الجديدة

• د. ريمه الخاني

مازال يؤلمني كثرة تأنيبها لي وزجرها القاسي، وحتى كثرة ملاحظاتها لأمور لا أجدها تستأهل كل هذا النزق الحامي، وتوصياتها للمدرسات بفرض الحزم على جهدي اليتيم.

تناسيت أن أقول لها يوما كي تترفق بي:

- أنا يتيم.. لم أتعود على كلمة ماما، ما زلت أرتمي بين بيت وبيت وسريروسرير.

ومازالت الأقدام تركلني في كل مبيت حتى السكن الداخلي في مدرستي، أشعر بمرارة وكأنني أمكث على قلبهم رغما، نعم لأنني لم أنس عندما دفعتني أختي بيديها الكبيرتين إلى المبيت في السكن الداخلي للمدرسة عندما لذت بها مطرودا محملا بحاجياتي لأنني اعترضت على سياسة الدار.. نعم انا جوعان، جوعان يا ناس، وممنوع علي الخروج إلا بإذن رسمي، وكثير مداولات.

لن أنسى ذلها واستعطافها لهم.. وعدم احترامهم لها حينها... كان مشهدا بشعا بكل المقاييس...

ابتلعته لأنه قدري كما تعودت، لقد سئمت هذا الحزم الخانق، والجوع فتت كبدي،وشارك بهذه المؤامرة الغادرة.

لا أستطيع أن آكل إلا ما هو ممكن ومتاح..

لقد سامحتني يوما عندما جمعت بعض بقايا طعام التلاميذ وهي تعتقد أنني أسرق، لتبين لها ضعف حالي، وقلة حيلتي في إصلاح أموري التعسة،عندها سألتني فقط:

- ألسنا نقدم لك من الطعام ما يكفيك؟

ما كان لي أن أقول، وكيف أقولها ولا أحد يسمع.؟الخيبة ردائي.. وكفى.

قفزت لذهني فكرة ماكرة، نعم يجب أن أجد حلا لهذا الزجر المؤلم.

رأيتها ذات يوم بكامل أناقتها، بحلة جديدة ، كانت مسرورة ومبتسمة على غرار الأيام الأخرى، أسعدني حالها لا أدري لماذا.. هل يفرح الإنسان لفرح من يشدد الخناق حول عنقه.؟ عجيبة هي نفس الإنسان، ترددت قليلاً ثم طرقت الباب..

- نعم

دخلت على رؤوس أصابعي فالأرض كانت لتوها مسحت ونظفت، ورائحة المنظفات السحرية تعبق في المكان، وهي وراء مكتب الإدارة متصدرة المقعد برزانة:

- أنا أحمد..

- أهلا يا أحمد تفضل بالجلوس

- هل أجلس فعلا؟

- نعم أنت الآن في مكتبي.

- لكنني طالب هنا.

- تفضل بالجلوس.

دخلت مدرّسة متعجبة من الوضع.

- قف على حيلك " وأردفت" خسارة طلاب آخر زمان.

قدمت أوراقها وانصرفت وسط نظراتها المشمئزة مني.

- أجلس...ماذا هناك.؟

- كنت أسأل، لو أنت راضية عني.!

- راضية.. ولماذا؟، هل كنت أمك يوما.؟، هههأنت بخير وفي تحسن مستمر، ثابر صعودا

- كنت أفكر فعلا أن أقول لك..... أمي.. ليس قصدي تماما.. ولكن..

آه على أولاد آخر الزمان، لم يعودوا يتصلوا بي أبدا، أنا علمتهم الاستقلالية وأنا تجرعت سمّها.

- بإمكانك تعديل البوصلة الآن، اتصلي بهم أنت.

- سيجاملونني، ويقولون أحلى الكلام، وينصرفون، كلامٌ في الهواء، لامعنى له ولا تطبيق واقعي أبدا.

كما قال غازي القصيبي:

- عندما يمتلئ وقت الابن لآخر الإناء، يفرغ إناء الوالدين ولا يجدون ما يملأ وعاءهم.

- لم يقل هذا تماما، بل قال:

- نحن علمناهم الجفاءلأنهم انصرفوا قبل أن ندعم الخيط بيننا، بل دعمنا نجاحنا حتى وصلنا لتلك المراكز التي أضاعت كثيرا من الوقت، وقد كان من حقهم.. وكما تدين تدان وهذا الثمن.

- تدين وتدان.. بكل الأحوال أظن ان ما يفكرون فيه، هو ألا يعلقون أرواحهم ليستطيعوا المضي بقوة لهدفهم.

- أقصد هذا ما جرى ...المهم، أي خيط، خيط الوفاء والمحبة، أم خيط التربية والقيم أم....

- عن ماذا تتحدث؟، وهل مثلك يعرف ماذا يعني والدين، نعم معك حق فأنا مهمل ويتقاذفني الأهل كخرقة وسخة لا يدرون كيف يتخلصون منها، كل هذا بعد وفاة أمي.. لماذا لا أدري.. من قال لهم يخلفون كل هؤلاء الأولاد ويتزوجون كل هذه الزيجات!

- هل؟...

- الوحدة سم ناقع، سم مر علقم...نستيقظ على صوت شكواه منا، متأخرين جدا...

- هل؟..

-ماذا تريد، هلكتني

- هل تسمحين لي بأن أقول، أقصد أن تتصلي بأولادك.. نتصل بهما معا.

- بصفتك ماذا؟

- بصفتي كابنك مثلا.. أعني مثلا، ولأنك قدوتي..

نظرت إلي نظرات موجعة وحبست دمعها، لم أجدها يوما بهذا الضعف، كل هذا الجبل الشامخ الذي كنت أهابه دائمايقف أمامي عاجزا محتارا، هل يفعل الشوق بنا هكذا؟، أم هو الألم والندم.!

- ألو أنا ابنها الجديد باركوا لي، وهي مشتاقة لكم جدا، فإن أحببتم تعالوا، وإن أحببتم تعالوا..

- هات السماعة يا ولد هات أمي، قال ابنها الجديد قال.. مسخرة.

- نعم ابني الجديد...وأنتم أبنائي كلكم وكل يوم سيكون لي ابن جديد، فكلهم بحاجة ليوانا بخدمة من يحتاجني.

- ومن هذا الـ..

- ابني الجديد...

توقف الحوار عبر الهاتف بلا شرح لما حدث، ولا تفسير لسبب توقفه.

خرجنا معا إلى الحديقة،تلجمني الحيرة والدهشة، وكأنني لأول مرة أراها، وأسمع صوتها الحنون الرقيق، ووجهها السماوي الرقيق يصافح يتمي، لم تعد تلك المديرة بقسوة ألفاظها الصعبة توجعني، ل صار ترياقا ودواء لي.

- اقس عليّ في كل يوم، في كل لحظة، ولكن خذيني مشوار مثل هذا.

هذا السلوك دفع بي وشجعني ورفعني، لكنني ما زلت أريد أن أعرف لماذا يعق الابناء، هل هو ثمن أخطاء اقترفها الآباء.؟

ضحكت كما لم تضحك من قبل، وبدت أسنانها الجميلة التي ظهرت لي كاملة، تمنحني سعادة ما بعدها سعادة.

أهديتها جزدان الخرز الذي كنت صنعته لأول سيدة تسمح لي بكلمة ماما، كنت سأقولها فسبقتني.

- أنا ماما ماماماما...

سوف أساعدك كي تصبح متفوقا، نعم لا عليك أنا معك وسأبقى، فكل منا يريد أما، وأنت ابن بمثابة الأم والولد، ولكن لا تنسا نفسك هناك، فسأبقى حازمة كما كنت..

مضينا في حديث طويل.. طويل، كان الهاتف يرن بشكل متقطع، كنا نفهم جيدا لماذا كان يرن.!

النّجمـــــة

• وجدان أبومحمود

تتوهّج عيناها اللوّزيّتان كنجمتين، تُخرج من حقيبتها ألبوم صور منمنمة ولاصقة، تنتزع بإصبعيها نجمةً ذهبيةً وتلصقها على جبيني، تضيء نجمتي كنجمتيها ويزقزق قلبي، تقول بعد أن طبعت على خدّي قبلةً من سكّر: (سموّ أشطر تلميذ في العالم... صفقّوا له)، أُغلق كتاب القراءة على صوت المعلمة وأبكي، فأسمع أبي يقول: (سيطر المسلّحون على المدرسة والجيش يتقدّم من البيادر الشرقيّة) وأسمع أمّي تردّ عليه: (علينا مغادرة القرية)، أحدّق في أعينهما لأستشفّ ما ينويان، أفشل فأنظر إلى غلاف كتاب القراءة، مكتوبٌ عليه (الصفّ الثّالث)، أعيده إلى حقيبة الظّهر القديمة وأخرج للحظة جلاءتي، أقرأ: (خلوق ومهذّب ...الأول على الشعبتين... نجاح إلى الصفّ الرّابع). تقوم أمي فجأةً، تمسكني من يدي وتهمس: (هيا يا سموّ ساعدني بتحضير الحقائب... سنرحل)، أسأل في ذهول: (إلى أين؟) وبدلاً من أن يجيبني يحثّنا أبي: (عجّلوا)، فنعجّل.

ركبنا وأمتعتنا في سيّارة كبيرة لنقل الخضار، كان المكان مزدحماً لدرجة أنّ والديّ قد أجلسا الحقائب في حجريهما، أمّا أنا فقد جلست على بقايا قرنبيط وعلى أوراق خس صفراء ومتعفنة. أسرعت السيّارة فبدأ الهواء بصفعي وبإحداث زوابع صغيرة في أذنيّ: دووو...دووو، شبكت ساعديَّ ببعضهما، ثم دفعت يدي اليمنى في جيبي الأيسر وتحسّست محتوياته بحبٍّ، مجموعة نجوم رائعة... خضراء وزرقاء وذهبيّة... حمراء وبيضاء وبنفسجيّة... نجومٌ كثيرةٌ كانت المعلمة تضعها على جبيني كلّما نلت من العشرة عشرة أو كلّما أجدت حين يفشل الآخرون، حسدني أولاد القرية وأسموني(فتى النجمة)، حتى زياد ذو المريول الجميل الذي طُبعت على جيبه صورة بطّوط وعلى ياقته دانتيلا زرقاء طُرّزَ تحتها حرف Z بالانكليزية، ذلك الصبيُّ الأشقر الذي يأكل البوظة ورقائق البطاطا كُلَّ فرصة، غار من نجماتي وحمل الجميع على الإبتعاد عني... بالبوظة ورقائق البطّاطا، أحبُّ مدرستي بقدر ما أكره زياد، وأُحبُّ قريتنا بقدر ما أُحبُّ مدرستي، لهذا بكيت كثيراً، بكيت فلم أنتبه كيف وصلنا فجأةً إلى المدينة، ناس ناس ناس... سيّارات... شرطي مرور... أبنية عالية... وأطفالٌ عائدون من مدارسهم بضحكة. ننزل في الشارع، يطلب منّا أبي أن ننتظره على رصيف، يودعني كلمتين ونصف: (أمّك في حمايتك) ويغيب، أُمسك بثوب أمّي فتحضنني، أندسُّ برائحتها عساني أكفُّ عن الارتجاف، أسألها ووجهي مدفونٌ بين كفّيها: يعني لا رصاص هنا ولا قذائف؟... يعني هنا أستطيع الذهاب إلى المدرسة؟؟؟، تقبّلني هامسةً: (اطمئن) من دون أن أفهم.

مرّت أيامٌ كثيرةٌ نمنا أوّلها في الحدائق ثمَّ وجدنا غرفةً بأجرة. يقول أبي. أنّها تناسبنا، ومع ذلك فقد كان النّوم في العراء أجمل، القمر فوقك مباشرةً، صحيح تتساقط عليك أوراق الأشجار وتخرج أصواتٌ غريبةٌ من العتمة ولكنه يبقى أفضل من الحشر في غرفة لا شمس فيها ولا سماء. وجد أبي عملاً، وعلّمني كيف أذهب في غيابه إلى مبنى الهلال الأحمر وحدي لأجلب معونات غذائيّة وأشياء. تقول أمّي. أنّها ضرورية. أستيقظُ كلَّ صباح في السابعةَ والنصفَ، أنطُ إلى الشبّاك لأراقب آخر الأولاد يحملون حقائبهم ويغيبون خلف بوابة المدرسة القريبة، أسمعهم بعد دقائق يردّدون النشيد، فأقف فوق رأس أمّي مردّداً نشيد (النّق) خاصّتي: أمي أُريد الذهاب للمدرسة... سينتهي الفصل الأول... أرجوك أرجوك، تهدّئني أمّي نصف نائمة: اطمئن، فأغضب وأرمي نجماتي من النافذة فتطير...

وفي يوم رفضت الذهاب إلى الهلال الأحمر، قلت لأبي: (لن أتسوّل) فصفعني وجلبت له أمّي حبّة الضغط، لقد تألّمت غير أنّي لم أبكِ، ظللت عابساً وجالساً مكاني. عندما هدأ اقترب منّي... مسح شعري وسكت إذ لا يمكن لأبي أن يقول الكلمة التي علّمني إيّاها: (آسف)، تمتم فجأةً في أذني: جهّزت الأوراق اللازمة وستباشر في المدرسة قريباً، حدّقت فيه مذهولاً، ثمّ قفزت من فرحي مطلقاً صيحات السعادة، تعلّقت برقبته مؤنّباً: لماذا لم تخبرني من قبل؟؟!. لم أنم يومها فقد أمضيت الليل في اختراع تمارين في الرياضيات وفي حلّها أيضاً...

سمعت أمّي عن حملة لجمع الملابس للأسر النازحة فطلبت منّي الحصول على دور، احمرّ وجهي في حنق وصرخت في وجهها: ليس شأني أريد الذهاب إلى المدرسة وليس للهلال الأحمر، سكتت أمّي المسكينة ولم تلحّ أكثر. وبعد ساعات عاد أبي ومعه صرّة كبيرة من الملابس المستعملة، فردتها أمّي على مهل، أخرجت سترة جلدية... قميص نوم... بنطلون جينز، ثمَّ نادتني وقد انشرحت أساريرها: تعال وانظر يا سموّ هذا لك، رفعت بين يديها مريول على مقاسي أو أكبر قليلاً، اقتربت منها بلهفة: حقّاً... أرني، تأمّلته جيداً، كان مريولاً جميلاً طُبعت على جيبه صورة بطّوط وعلى ياقته دانتيلا زرقاء طُرّزَ تحتها حرف Z بالانكليزية، سأل أبي: أعجبك؟ سترتديه غداً إلى المدرسة، رميته في غلٍّ وصحت بهما وكمّي يمسح وجهي: لا أريد الذهاب، ثار أبي وكاد يصفعني ولكنه تراجع حين سالت من تحت الكمّ دموعي.

"الدكتور عبد اللطيف اليونس"

سيرة نضالية حافلة في تاريخنا المعاصر

• د.سهيل الملاذي

إن اسم عبد اللطيف اليونس من الأسماء البارزة في تاريخ سورية المعاصر، تصدّر واجهة الأحداث حقبة من الزمن، ثم غاب عن الواجهة فترة، لم يغب فيها عن الساحة أبداً.

ومع ذلك، أعترف، بداية، أنني ما كنت أعرف الكثير عن حياة هذا الرجل، الحافلة بالأحداث، سواء على الصعيد الشخصي، أو على صعيد الإسهام في التحولات السياسية والاجتماعية والأدبية والصحافية، منذ عهد الاستعمار الفرنسي على سورية حتى الآن.

كان لقائي الأول باليونس في ١٩٩٢/٥/٩، حين دعيت لإلقاء كلمة في تأبين المجاهد الكبير منير الريس، في المركز الثقافي العربي بدمشق. كان اليونس مدعواً للحديث عن منير الريس، صديقاً ورفيق نضال، وزميلاً في مهنة المتاعب (الصحافة).

لم يُخرج اليونس من جيبه أوراقاً معدّة مكتوبة، بل ارتجل كلمته ارتجالاً، وتحدث بعفويّة وفصاحة وانطلاق، دون تلعثم أو زلل.

كان حديثه مؤثراً مثيراً للإعجاب، وكانت شخصيته آسرة متزنة وقورة، تشير إلى رجل قد أكسبته تجارب الحياة غنىً فكرياً متميزاً.

لكم وددت آنئذ أن أعرف المزيد عن هذا الرجل. استيقظت في ذاكراتي أحداث لم يطل العهد بها، كان اليونس في واجهتها، ثم أقبلتُ على قراءة ما يكتبه، خصوصاً في مجلة «الثقافة» الدمشقية، لصاحبها الأديب الراحل مدحت عكّاش، وما كتبه من قبل في «أعماله الكاملة»، من منشورات «دار الثقافة» بدمشق.

ثم سنحت لي الفرصة لأدخل إلى عالمه الثّر المثير عن كثب، حين أقبلتُ بشغف واهتمام على مطالعة مذكراته التي صدرت في طبعتها الأولى عام ١٩٩٢، عن «دار العلم» بدمشق في (٥٤٦) صفحة، ورصد ريعها للأعمال الخيرية، وتفضّل بإهدائي نسخة منها.

مذكرات اليونس تؤرخ بموضوعيّة ونزاهة لكثير من التحولات والأحداث السياسية في سورية والوطن العربي، منذ عهد الفرنسيين حتى الآن، ولاتخلو من عبر وحكم وفكر ناضج، فضلاً عن أنّها تكشف عن ناقد وأديب وشاعر متميّز،وعن صحفي بارع، وإنسان حصيف بعيد النظر، عركته تجارب الحياة، وخاض غمارها بقلب كبير وروح تقيّة ونفس متواضعة، ما عرف عنها إلاّ الوفاء للوطن، والعرفان لمن قدم له جزءاً من مساعدة، ونسيان الإساءة ممن أساء إليه، وتقديم الخير للناس، دون ادعاء أو زهو، أو تمييز بين طائفة وأخرى، مدفوعة بالثقة بالعناصر الطيبة الكامنة في النفس البشرية.

لا فهرسة للمذكرات، فهي ليست مقسمة إلى فصول أو أبواب، وإن هي إلاّ تداعيات عفويّة –لكنها دقيقة وأمينة- لذاكرة قوية متدفّقة ، تحتفظ بالأحداث حيّة متحرّكة، مثلما تختزن آلاف الأبيات من الشعر، ولهذا، نجد اليونس يستطرد أحياناً، دون أن يشذّ عن المسار العام.

مذكراته هي فقرات متسلسلة زمنياً، يقفز فيها بالحدث أحياناً إلى نهايته، ثم يعود من جديد في السياق الزمني، حيث تركه، كل ذلك بأسلوب شائق ممتنع، ولغة سهلة طيّعة، وفصاحة متمكّنة، ولا عجب، وقد عُرف عنه في خطبه وكلماته المرتجلة كلّها، أنه لم يتعثّر مرَّة أو يسفّ أو يلحن.

كذلك لم يعمد اليونس إلى تقسيم كتابه إلى مراحل، وإن كنّا نرى فيه مراحل ثلاثاً:

المرحلة الأولى: تنسحب على فترة الاستعمار الفرنسي، وتمتد حتى جلاء القوات الفرنسية عن سورية عام ١٩٤٦، ويمكن أن نطلق عليها اسم مرحلة الكفاح الوطني، وفيها شنّ حرباً لا هوادة فيها على الاستعمار والرجعيّة والإقطاعيّة والعشائريّة والتخلّف، وتحمّل في سبيل ذلك كثيراً من الأذى والاضطهاد.

يحدثنا عن مولده زمن الحرب العالمية الأولى، في قرية (بيت الشيخ يونس) التابعة لصافيتا، في بيت دين وعلم ووجاهة، وهي أسرة (آل ياسين).

ويكلمنا عن طفولته الباكرة، وطموحه للعلم، وتطلّعه إلى المثل العليا، فقد درس عند خطيب في قريته قبل أن يكمل الخامسة، ثم اضطر إلى تكبير عمره ليتمكّن من دخول المدرسة التي أنشئت آنئذ في قريته، وكان الشيخ عبد الرحمن الخيّر أول أستاذ فيها.

وحين أغلق الفرنسيون المدرسة بعد ثلاث سنوات، انتسب إلى المدرسة الرسميّة في صافيتا، لكنه اضطر لأن يهجرها، لخدمة والدته وأشقائه الثلاثة، بعد أن فجع بفقد والده، غير أنه ظل مثابراً على التعلم.

ويعرّفنا اليونس على عائلته: عمّه الأكبر الشيخ ياسين، وعمّه الشيخ طاهر، والده الشيخ يونس عبد اللطيف، وخاله الشيخ يوسف إبراهيم، الذين كان أثيراً لديهم، متأثراً بأخلاقهم وتُقاهم وسماحتهم.

ويعرفنا أيضاً على إخوته وأشقائه وأولاد عمه، وعلى البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها.

ويسرد علينا عدداً من مواقفه النضالية:

فمنذ الرابعة عشرة من عمره نظم الشعر، واقتحم ميدان الصحافة، عبر مجلة "العروبة" البيروتية، التي كان يصدرها الحوماني، ومجلة "المكشوف"، لصاحبها فؤاد حبيش، ثم في جريدة "البلاد" في اللاذقية، التي أطلق عليها فيما بعد اسم "الخبر"، وفي "الضحى" و"الهدف" في حمص، و"الفداء" في حماه.

وكان له حضور في اجتماع كبار زعماء وشيوخ المنطقة، صيف عام ١٩٣٣، هذا الاجتماع لقي ومقرراته معارضة من الفرنسيين، ثم كان له دوره في مناسبات كثيرة أخرى.

في عام ١٩٣٧ عين معلماً في "وادي العيون"، بدعم من إحسان الجابري محافظ اللاذقية، ومصطفى الزين مدير المعارف فيها، رغم معارضته الإقطاعيين والرجعيين.

وفي ربيع ١٩٣٨ كان له الفضل الأول في إعداد مهرجان لتكريم الشيخ سليمان الأحمد، في مسرح "شناتا" باللاذقية، وأصدر كتاباً عنه.

استقال عام ١٩٣٨ من مدرسة "وادي العيون"، ليصدر جريدة "صوت الحق" في اللاذقية، وقد استلم رئاسة تحريرها، وكان عابد جمال الدين صاحب امتيازها، وصهره الدكتور علي سليمان الأحمد مديرها المسؤول، وانتقل عندئذ للإقامة في اللاذقية بعيداً عن أسرته.

شارك في إضراب عام ١٩٣٩، وعارض "قانون الطوائف" الذي أصدره الفرنسيون ذلك العام، للتفريق بين الطوائف في الوطن الواحد، وأيّد الحركة الوطنية، ودعا إلى الوحدة السورية، ووقف ضد مؤامرة الفرنسيين لسلخ اللاذقية والسويداء عن الوطن الأم سورية.

ما لبث أن اتهم بإطلاق النار على المستشار الفرنسي في اللاذقية عام ١٩٣٩، فلجأ إلى العراق، حيث دخله في ١٩٣٩/٤/٤، يوم مصرع الملك غازي.

وفي العراق التقى بشخصيّات وطنية عراقية، واجتمع بشخصيات عربية كالحاج أمين الحسيني وأكرم زعيتر، كذلك اجتمع بالسوريين الذين لجأوا إلى العراق آنئذ، أمثال: سعد الله الجابري وجميل مردم وفخري البارودي وبدوي الجبل ولطفي الحفار ومنير الريس وعادل العظمة والدكتور أمين رويحة، وكتب مقالات وطنية في جريدة "السجل" لطه الراوي، وفي "الاستقلال" و"البلاد، وصحف أخرى.

انتقل لتدريس الأدب العربي في ثانويات البصرة، وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ ضد الإنكليز.

حين فشلت ثورة الكيلاني، أصبح ملاحقاً من الإنكليز، فعاد إلى سوريّة، واستقرّ في صافيتا مع أسرته.

في خريف عام ١٩٤١ فُرضت عليه الإقامة الجبريّة في بيروت، ثم سعى للعودة إلى سوريّة، وفي هذه الفترة كان يكتب في جريدة "الوعي القومي" باللاذقية، و"الضحى" في حمص، و"العاصي" في حماه وغيرها.

وكان له الدور الأول في إقامة مهرجان كبير لتكريم الشيخ صالح العلي في اللاذقية في ١٩٤٥/٤/١٧.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة العمل البرلماني، وتمتدّ من بداية العهد الوطني عام ١٩٤٦، وحتى عام ١٩٦٤، وفيها دخل المجلس النيابي عن منطقته ثلاث مرّات:

المرّة الأولى عام ١٩٤٩، فقد نجح في انتخابات الجمعية التأسيسية التي تحوّلت إلى مجلس نواب. وكانت المرّة الثانية حين فاز في انتخابات عام ١٩٥٤، وفي المرة الثالثة في انتخابات ١٩٦١/١٢/١. وكان طيلة حياته البرلمانية عضواً في لجنة الشؤون السياسية (لجنة الشؤون الخارجية)، وأمين سرّ "الكتلة

الجمهورية" في المجلس، كما اختير عضواً في لجنة الدستور، ورئيساً للجنة الشكاوى والعرائض، ونائباً لرئيس لجنة البترول، حيث وقف موقفاً مؤيداً لاستثمار النفط وطنياً.

وكانت مذكرته الشهيرة إلى مجلس الجامعة العربيّة، الذي انعقد في دمشق ربيع عام ١٩٥٠، تلخص أفكاره وآراءه ومواقفه من الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية، ومن قضية فلسطين بشكل خاص، وفيها طالب بموقف عربي موحّد، وبالتصدي للدول الغربية المتآمرة على العرب، وإلغاء المعاهدات المعقودة معها، وبتأميم البترول والشركات الأجنبية.

أما على الصعيد الداخلي، فلعلنا لا ننسى خطبه ومواقفه الوطنيّة الكثيرة، التي إن نسيتها الذاكرة، فهي محفوظة في محاضر مجلس النواب.

وكانت له مواقفه من فترة الانقلابات العسكريّة، وخصوصاً من حكم أديب الشيشكلي، ولهذا نأى بنفسه عن المشاركة في الأوضاع المنحرفة، وذهب عام ١٩٥٣ إلى فرنسا والبرازيل والأرجنتين والعراق، وقاطع حزب "حركة التحرير العربي"، وانتخابات عام ١٩٥٣، اللذين أعلن عنهما الشيشكلي.

في عام ١٩٥٤ طرح على الرئيس جمال عبد الناصر فكرة قيام اتحاد بين مصر وسورية، وكان آنئذ ضمن وفد رسمي رئسه الدكتور ناظم القدسي.

وكان أيضاً ضمن الوفود البرلمانية التي زارت بصفة رسميّة الأردن والسعودية ومصر والعراق ولبنان والاتحاد السوفييتي وغيرها.

وفي عهد الوحدة كتب التعليقات السياسية لإذاعة دمشق حوالي ثلاث سنوات، وقدم (٢٢) محاضرة عن المغتربين في الإذاعة المصرية، جمعها في كتاب "المغتربون".

المرحلة الثالثة: مرحلة المهجر، وتبدأ عام ١٩٦٤، وهي تتميز بالكفاح القومي في ميداني الأدب والصحافة. ولعله أراد أن يرتاح من العمل السياسي المباشر، فسافر إلى المهاجر الأمريكية، ليتابع الكفاح الأدبي والصحفي فيها.

ولم تكن المرة الأولى التي يتعرف فيها على

البقية ص٢٢

رسول حمزاتوف..
فارس الحكايات والأغنيات

• عبد المجيد إبراهيم قاسم

ولد رسول حمزاتوف في ليلة من ليالي شهر سبتمبر/ أيلول عام ١٩٢٣ في قرية وادعة تتبع لناحية "خونزاخ" من جمهورية داغستان تدعى "تسادا"، تقع في القوقاز جنوبيِّ روسيا.. وحمزاتوف هو قامة فارهة في سماء الأدب، وسفر خالد من أسفاره، وصاحب الفلسفة المستمدَّة من حقيقة الحيَاة، وجراحها المترامية في قلب الإنسانية، فلسفة التأمُّل المؤلم، الموشاة بالأسى والحزن النبيل. الفارس الذي قدم محمَّلاً بآمال أبناء شعبه وأحلامهم، لذا استحق هذا الجبلي الطافح بالحب؛ لقب (شاعر داغستان الكبير). تلقَّى تعليمه الأول في مدرسة ارانيا الابتدائية في قريته، ثم تخرج من معهد التربية الأفاري وعمل مدرساً، ومساعد مخرج في المسرح الأفاري الحكومي، ومراسلاً ورئيس قسم في جريدة "بلشفي الجبال".

كتب الشعر وبدأ بنشر قصائده في وقت مبكر من حياته، وأصدر أول عمل شعري له عام ١٩٤٣ بلغة بلاده القومية (الأفارية). أنهى تعليمه في معهد "غوركي" للآداب بموسكو سنة ١٩٥٠ وتعيَّن رئيساً لاتحاد كتاب داغستان، المنصب الذي ظلَّ يعمل فيه حتى وفاته. وأثناء دراسته في موسكو؛ تمكَّن من أن يتعمَّق في متابعة إبداعات الكتَّاب الروس الكلاسيكيين. وتمكَّن من الإلمام بتراث الشعر العالمي والتعرُّف بمشاهيره والاطلاع على أعمالهم ونتاجاتهم، إلى جانب الثقافة الإسلامية العربية التي تشرَّبها في بيئته، وإلى خصوصية تجربة بلاده ونضالها، فأسهمت جميعها في صقل موهبته وبلورة تجربته الإبداعية. أصدر حمزاتوف في حياته عشرات الكتب في الشعر والنثر والأدب الاجتماعي، معظمها بلغته الأم، قدَّم خلالها عصارة فكره، تلك النابعة من الحكمة والصمت الموحي بالتأمل الهادئ العميق. يقول حمزاتوف: (إن الإنسان في حاجة إلى عامين ليتعلم الكلام، وإلى ستين عامًا ليتعلم الصمت، وأنا لست ابن عامين ولا ابن ستين عامًا.. أنا في نصف الطريق. ومع ذلك فيخيَّل إليَّ أني أقرب إلى الستين، لأن الكلمات التي لم أقلها؛ أغلى على قلبي من كلِّ الكلمات التي قلتها.) ومن عناوينه الشهيرة: "قلبي في الجبال"، "النجوم العالية"، "حافظوا على الأصدقاء"، "الغرانيق"، "حكايات"، "عجلة الحياة"، "عن الأيام العصيبة في القفقاس"، "احكم علي بقانون الحب"، وغيرها من الإصدارات التي حظيت بشهرة واسعة داخل بلدان الاتحاد السوفيتي وخارجها، والتي امتدت بتأثيرها إلى العالم بأسره. إلا أن كتابه الذائع الصيت "داغستان بلدي" كان ذا نكهة خاصة وطابع متميز، إذ امتزجت قصائده بصدق وسحر فريد؛ أبهر قراءَهُ وقادهم بلطف إلى ضفاف جديدة من الإبداع والتألق. وقد كان مصدر ذاك الصدق والسحر أنَّهُ أراد لكتابه أن يكون قصيدة حبٍّ لبلاده، تخلد حكايات إنسانها وبطولاته، أراد خلاله أن يروي عظمة جبالها وروعة وديانها وجداولها. وقد ترجمه إلى العربية الأديبان "عبد المعين الملوحي، ويوسف حلاق" سنة ١٩٨٢. يقول شاعرنا في إحدى قصائد الكتاب، بعنوان "الأغاني المقدسة"(١):

هناك، ثلاث أغنيات مقدسة عند الناس
تحمل مصائبهم وأفراحهم
واحدة من هذه الأغاني
هي الأكثر قداسة بينهن
تلك التي تدمدم بها الأم فوق المهد
الثانية، هي أيضاً من أغاني الأم
تلك التي تغنيها فوق تابوت ابنها
وهي تمرِّر يدها على الخدِّ البارد
الأغنية الثالثة، بقية الأغاني.

تُرجمت أعمال حمزاتوف إلى أغلب اللغات في العالم، وعلى يد الكثير من شعراء الاتحاد السوفيتي والعالم، في حين ترجم هو الآخر أشعار وقصائد كبار شعراء الاتحاد السوفيتي إلى

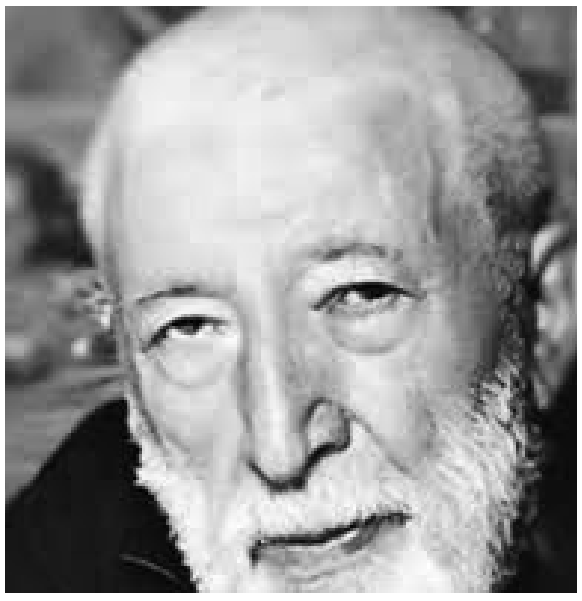

لغته الأم. والجدير بالذكر أيضاً أن الكثير من أشعاره تحوَّلت إلى أغان، لحنها وقام بأدائها ملحنون وفنانون معروفون في داغستان، وغيرها من الجمهوريات السوفييتية السابقة. يقول رسول حمزاتوف:

أروع الجرار
هي التي تُصنعُ من الطين العادي
وأروعُ الأشعار
من أبسط الكلمات.
ويقول أيضاً:
من أجل ألا تعرف الركوع ركبتاك
لراية سواها
احنِ هامتك.. أمام رايتكْ.

يقول د. إبراهيم اسطنبولي في تجربة حمزاتوف: (لقد اجتمعت في إبداعه عدَّة عناصر شعرية: الشعر الغنائي، والأدب الملحمي والتأملات الفلسفية بخصوص الزمن والذات. كما أدهشت معاصريه رهافة حسه تجاه العالم، ولسوف تدهش الأجيال القادمة، فقد كان الفتى الجبلي من قرية تسادا الأفارية الصغيرة، يراقب من فوق هضابها الصخرية ذلك العالم الكبير الذي أسكنه أشعاره. ذلك أنه مذ كان طفلاً صغيراً وهو يتفاعل مع جميع الأحداث العالمية دون أن ينسى جذوره العميقة مطلقاً. كان إيقاع قلبه يتناغم مع إيقاع الكرة الأرضية باستمرار، وهذا ما جعله عن حق شاعراً عالمياً بامتياز.)(٢)

لقد ثبَّت حمزاتوف في دستوره الأخلاقي والأدبي (دستور الجبال) المبادئ الرئيسية التي تلتزم بها شعوب داغستان منذ الأزل، ودعا الأجيال الجديدة للتمسك بها. ومن بين المواد الأساسية لهذا الدستور: المادة الأولى؛ الرجل: إذ يجب أن يكون شجاعاً، وأن يوازن بين تسرُّع الشباب وحكمة الشيوخ. المادة الثانية المرأة: حيث يحقُّ للرجل أن يقاتل في حالتين فقط، دفاعاً عن وطنه، وعن المرأة. المادَّة الثالثة؛ الطفل: فعندما هُزم ملك الفرس في داغستان سأل: من هو قائدكم؟ تقدَّمت امرأة جبلية وبين يديها طفل. وخلال رحلة حياته الحافلة؛ انتخب حمزاتوف نائباً في مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية داغستان، ثم نائباً لرئيس مجلس السوفييت الأعلى للجمهورية، نائباً وعضو رئاسة مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي. وشارك على مدى عقود من الزمن في مؤتمرات اتحادات الكتاب في كل من داغستان وروسيا والاتحاد السوفييتي، كما شارك كعضو في الكثير من اللجان الأدبية والإعلامية والإنسانية. ونال حمزاتوف: وسام الراية الحمراء في العمل، وسام الصداقة بين الشعوب، وسام "من اجل الوطن"، والكثير من ميداليات الاتحاد السوفييتي، إلى جانب مجموعة من الجوائز العالمية. أقيمت له الكثير من الأمسيات والحفلات الشعرية في مختلف مسارح داغستان وموسكو والعديد من بلدان العالم. وتمَّ إخراج العديد من المسرحيات والأفلام السينمائية على أساس أعمال الشعرية. إضافة إلى تصوير العديد من الأفلام الوثائقية والتلفزيونية عن حياته وإبداعه. وقد عُرف حمزاتوف بمواقفه المؤيِّدة للعرب وللقضية الفلسطينية، والمعادية للدول الإمبريالية وللمشروع الصهيوني.

اتسمت أشعاره بالعفوية وبالحكمة والإنسانية العميقة في الوقت نفسه، وتميَّزت بالقدرة على التعبير عن الإنسان وعن عواطفه بعذوبة وسلاسة. كان يبشره دائماً بأن البقاء للأجمل، رغم كلِّ أشكال القوَّة والهمجية التي حفل بها التاريخ الإنساني.

تناول في نتاجه الإبداعي قيماً إنسانية سامية أولها المحبة، التي تعني بالنسبة له أغنية تختلف عن كلِّ الأغاني، يفوح عبيرها في وجه كلِّ من لا يعرفهم ولم يراهم قط. وكان يحمل أغنيته معه أينما ذهب ويوصي كلَّ إنسان بأن يحملها مثله. وأبهى تلك الأغنيات: الوطن بأنهاره وسواقيه ووجوه أبنائه. إن حمزاتوف هو عاشق الأرض الجبلية الصغيرة، والهائم في حبها حدَّ الثمالة، حتى أن داغستان أصبحت عقيدته المقدسة؛ التي لم يغفل عنها لحظة واحدة. يقول في إحدى أشعاره عن بلاده الصغيرة بمساحتها؛ والكبيرة بمحبَّة رجالها ونسائها، وبحبِّ حمزاتوف:

نجوم كثيرة، وقمر واحد
نساء كثيرات، وأمٌّ واحدة
بلاد كثيرة، ووطن واحد

الأغنية الثانية التي حملها حمزاتوف: محبَّة الإنسان، والإحساس بالروح الشاعرة لديه؛ أينما كان وجه هذا الكوكب. فالشعر -كما يقول- كامن في قلوب كل البشر، وهم كلُّهم شعراء بالفطرة: (نعم، نحن جميعاً شعراء، بعضنا يَنْظُمُ الشعر لأنه يعرف كيف ينظمه، وبعضنا ينظمه لأنه يظنُّ أنه يستطيع، وبعضنا لا ينظم الشعر على الإطلاق. ومن يدري لعل هذه الزمرة الأخيرة أن يكونوا فعلاً هم الشعراء حقاً). لقد كتب شاعرنا في محبَّة الإنسان، وتغنى لحبِّه طويلاً، فكان شاعر الناس ولسانهم المعبِّر، بل شاعر الإنسانية وحامل رسالتها لعموم البشرية، وليس شاعر داغستان وحدها، كما يقول. كان يتمنى أن يعيش أكثر من حياة، ليزرع الحب بما يستطيع من كلمات قليلة وأحاسيس تملأ الآفاق. يقول: (نحن لا نملك إلا حياة واحدة، ولو كان لي أكثر من حياة، لأمكنني أن أزرع حبي؛ حتى يعمَّ الجميع.. لكن يكفيني أن يظلَّ حبي حيّاً ومتدفقاً في قصائدي).

قصيدة الحبِّ الثالثة التي تغنى بها حمزاتوف هي المرأة، المرأة الأم و المرأة الحبيبة والمرأة القصيدة. وهذه القصيدة لا تنفصل مطلقاً عن الأغاني الأخريات، فالمسافة التي تفصل بين الحبيبة والوطن -كما يقول- ليست أكثر من حرف من حروف العطف.. والشاعر عندما يتحدَّث عن الحب، فهو يعني الحب للبيت، للأرض، للناس الذين هم أحبّاء إلى روحه، وللمرأة الوحيدة. يقول في قصيدة بعنوان "حب"(٣):

إذا أحبك يا امرأة ألف رجل
فاعلمي أن رسول حمزاتوف بينهم
وإذا أحبك مائة رجل
فاعلمي أن رسول حمزاتوف بينهم
وإذا أحبك عشرة رجال
فاعلمي أن العاشر هو رسول حمزاتوف
وإذا أحبك رجل واحد فقط
فاعلمي أنه رسول حمزاتوف

البقية ص٢٢

تتمة ص20

"الدكتور عبد اللطيف اليونس" سيرة نضالية حافلة في تاريخنا المعاصر

بلاد الهجرة والاغتراب، فقد سبق له أن زارها مرتين من قبل في عامي ١٩٤٧ و١٩٥٣.

في عام ١٩٤٧ سافر إلى المهجر في مهمة وطنية رسمية، للدعاية للقضايا العربيّة، وفي مقدمتها القضيّة الفلسطينيّة.

وصل أولاً إلى مونتيفيديو عاصمة الأورغواي، وتحدّث في "النادي اللبناني"، وعندما وصل بيونس أيرس عاصمة الأرجنتين، حضر اجتماعات "الرابطة الأدبية"، وتعرّف إلى أعضائها يوسف الصارمي صاحب مجلة " المواهب" والشاعرين إلياس وزكي قنصل، كما التقى بالشاعر جورج صيدح.

وكانت له محاضرات في مدن الأرجنتين، ومقالات في صحف بيونس أيرس "المواهب، الجريدة السوريّة اللبنانيّة، العلم العربي، السلام، الاستقلال، الرفيق".

وحين وصل إلى البرازيل التقى في عاصمتها السابقة ريو دي جانيرو بالشاعر القروي وإلياس فرحات وغيرهما، والتقى في سان باولو بشفيق المعلوف ونصري سمعان ونظير زيتون وحسني غراب والمطران حريكة وغيرهم.

وزار مدن البرازيل الكبرى كوروتيبا، بورتوا ليكري، كامبو غراندي، حيث توجد الجاليات العربيّة، وتحدّث في محافلها وحاضر في منتدياتها. وكانت زيارته لمدن البرازيل والأرجنتين في عام ١٩٥٣ كسابقتها في الأهمية.

أما زيارته للمهجر في عام ١٩٦٤، فكانت أطول مدى وأكثر أهميّة، إذ دامت أكثر من عشرين عاما، كانت حافلة بالنضال القومي، لم ينقطع فيها عن المحاضرة في القضايا العربيّة، أو الحديث في المحافل والنوادي والجامعات، وفي حفلات التكريم الكثيرة التي أقيمت له في مدن المهجر، كحفلة التكريم التي أقيمت له في "الجامعة الإسلامية" في توكومان بالأرجنتين، وكان لهذه الفترة أثرها العظيم في تعميق الأواصر بين المغتربين والوطن الأم وقضاياه القوميّة، وتقوية الصلات مع شعراء المهجر وأدبائه وصحافييه، والتصدي للصهيونية وعملائها.

وقد زار كاراكاس عاصمة فنزويلا، وسانتياغو عاصمة تشيلي، وبيونس أيرس عاصمة الأرجنتين وتوكومان ومدناً أخرى فيها.

وفي البرازيل زار ريو دي جانيرو وبرازيليا، واستقر به المقام أخيراً في سان باولو، حيث أسس فيها جريدة "الأنباء" باللغتين العربيّة والبرتغالية، لتكون منبراً عربياً حراً في بلد الاغتراب. وقد صدر العدد الأول منها في ١٩/٣/١٩٦٩.

خلال إقامته في سان باولو لم تنقطع صلته مع الوطن الأم، إذ عاد إلى سوريّة عام ١٩٧١ بعيد الحركة التصحيحية، وزار لبنان ومصر وليبيا وتونس والجزائر، ثم عاد إلى الوطن ثانية عام ١٩٧٥، وقضى فيها سنتين.

في عام ١٩٧٧ رجع إلى المهجر، لينشئ في بيونس أيرس بالأرجنتين جريدة "الوطن" باللغتين العربيّة والإسبانية، بالتعاون مع إلياس قنصل، لتكون الصحيفة الأكثر أهميّة بين صحف المهجر. وقد صدر العدد الأول منها في ١٦/٨/١٩٧٨.

في عام ١٩٨٦ ألقى محاضرة في الجامعة الكاثوليكية في توكومان بالأرجنتين، عن "الحضارة العربيّة وأثرها في تكوين الحضارة الإنسانية وبناء الإنسان"، ونظراً لقيمة هذه المحاضرة وأهميّة الباحث، فقد رأت الجامعة أن تمنحه درجة الدكتوراه، تكريماً واعترافاً بمكانته.

ولابد أن نشير إلى مؤلفات د.عبد اللطيف اليونس التي ورد ذكرها في مذكراته:

"مقدمة اليوبيل الذهبي للعلامة الكبير الشيخ سليمان الأحمد"، طبع عام ١٩٣٨، في مطبعة "العرفان" في صيدا، لصاحبها الشيخ عارف الزين.

"الجيل الجديد" عام ١٩٤٤.

"الثورة العلوية وقائدها المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي"، في (٢٢٣) صفحة، طبع عام ١٩٤٧ في مطبعة "الفداء" بحماه، وأعادت وزارة الثقافة طبعه عام ١٩٦٢ تحت عنوان "ثورة الشيخ صالح العلي".

"بين عالمين" عام ١٩٥٥، وهو مجموعة أحاديث ومقالات.

"حياة رجل في تاريخ أمة"، عن حياة الرئيس شكري القوتلي، في (٣٠٠) صفحة، صدر عن "دار المعارف المصرية" عام ١٩٥٩.

"المغتربون"، في (٢٥٠) صفحة، صدر عن "دار العرفان" ببيروت عام ١٩٦٤، وهو يتضمن (٢٢) محاضرة ألقاها في الإذاعة المصرية عن المغتربين.

"من صميم الأحداث"، في (٢٥٤) صفحة، طبع في البرازيل عام ١٩٦٧.

"شفيق معلوف شاعر عبقر وأهازيج الفن"-بيونس أيرس (الأرجنتين) عام ١٩٦٦.

"زكي قنصل شاعر الحب والحنين"-بيونس أيرس (الأرجنتين) عام ١٩٦٧.

" من ذكريات الغربة"، عن تجربته في المهجر في أعوام ١٩٤٧، ١٩٥٣، ١٩٦٤.

مساء الخميس ٢٨/٣/٢٠١٣، رحل من عالمنا رجل الفكر والسياسة والثقافة والصحافة، الأديب الشاعر المبدع والخطيب المفوّه الدكتور عبد اللطيف اليونس، بعد قرن من العطاء، تاركاً بصمات لا تمحى على حياتنا المعاصرة، وسيرة نضالية فذّة، قضاها في خدمة سورية في الوطن والمهجر.

إلى جنان الخلد، فإنّك ستبقى في الذاكرة طويلاً، أيّها الكبير

تتمة ص21

رسول حمزاتوف.. فارس الحكايات والأغنيات

وإذا لم يحبك أحد
وكنت تشعرين بالأسى
فانظري إلى الجبال

لتعلمي أن رسول حمزاتوف هناك، قد مات.

استأثر حبُّ زوجته فاطمات أو فاطمة بجزء جميل من إبداعه، كما كانت تستأثر هي بركن أثير في قلبه، فكتب لها أعذب الأشعار، وأبدع أبهى القصائد. لقد كان مغرماً بها بشكل لا يمكن وصفه، كان يرى فيها اختصاراً لكل النساء، قنديلاً ينير دروب حياته وينثر فيها باقات الفرح. نقتطف من قصيدة لها بعنوان: "ما الذي بقي، أخيراً؟"(٤):

كم سقطتْ خلافات/ كم إمبراطورية غابت
والسلالاتُ تبدلت/ وكلُّ شيء تغيّرَ مئات المرات..
فما الذي بقي، أخيراً/ سوى "أحبُّ" و"أؤمن"؟
ما الذي بقي، أخيراً/ سواك يا فاتمات؟
جنكيزخان، تامرلان/ بونَابَرتْ، كلهم غابوا كما الرمل المذرِي
طواهم الزمن بلا استثناء../فما الذي بقي، أخيراً
سوى اللطف والأغنية؟ ما الذي بقي، أخيراً
سواك يا فاتمات؟
لا تقلقوا بشأني/ هكذا هي الدنيا/ لا بد من الوداع
لا مفرَّ من الفقدان../ سأغادر، لكن قبل ذلك/
املؤوا الكأس لي/ سأشربُ حياتي حتى الثمالة..
ولتبق في الدنيا/ وحدها فاتمات.

(حياتي مسودة، كنت أتمنى لو أن لديَّ الوقت لتصحيحها.) كلمات قالها حمزاتوف قبل أن يموت بأيام قليلة، لكنه القدر لم يمهله ذلك الوقت ليحقّق ما أراد، إذ توفي في الثالث من أكتوبر/ تشرين الثاني من عام ٢٠٠٣ عن عمر يناهز الثمانين، ودفن بجوار قبر فاطمات عند سفح جبل (تاركي تاو) في قلب عاصمة بلاده التي أحبّ، ماخاتشكالا.

الهوامش:

١) الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ١١٨/ شباط ١٩٨١ (يوماً طيّباً أيتها الحكمة الجبليّة البليغة) قصائد من رسول حمزاتوف، ترجمة وتقديم: إبراهيم الجرادي.

٢) رسول حمزاتوف، مختارات شعرية، إصدارات الهيئة العامة السورية للكتاب، الكتاب الشهري الثاني والثلاثون ٢٠١٠، إعداد وترجمة د. إبراهيم اسطنبولي، ص (٦-٧).

٣) الموقف الأدبي، مصدر سابق.

٤) رسول حمزاتوف، مختارات شعرية، مصدر سابق، ص (١٤٣-١٤٦).

٥) رسول حمزاتوف.. من القصائد الأخيرة، دار السوسن، دمشق، ترجمة: شاهر أحمد نصر، المقدمة بقلم: عبد المعين الملوحي.

الأسبوع الأدبي

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشتراك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000.س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني aru@tarassul.sy
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

بودلير، وساراماغو، وباموق ولوكليزيو، ونابوكوف، وهمنغواي، وبوشكين في الآداب العالمية

احتفت مجلة الآداب العالمية، وعبر عددها الجديد الصادر عن اتحاد الكتّاب العرب بأعلام الأدب العالمي: شارل بودلير، والكسندر بوشكين، وأورهان باموق، وجان ماري لوكليزيو، وفلاديمير نابوكوف، وآرنست همنغواي، وخوسيه ساراماغو الذين قدموا ذوب أرواحهم أسطراً مقروءة في العتمة، ومواقف خالدة نقشاً على يد الزمان، وقيماً مشعات كالنجوم.

كما اشتمل العدد على نظرة موسّعة في الشعر الأرمني كتبها الأديب المعروف نصر الدين البحرة.

في باب الدراسات نقرأ رحلة مع بودلير للدكتور نجيب غزاوي، والحكايات القديمة والرواية الحديثة لدى أورهان باموق كتبها سامر أنور الشمالي، وفي القصة ترجمة لقصتين اثنتين:

هما (خيال) لـ أليس مونرو، و(العفاريت) لـ نودا رودو مبادزة، ترجم الأولى الأديب منير الرفاعي، وترجم الثانية الأديب أحمد نصر.

في باب الإعلام كتب رئيس التحرير عدنان جاموس عن (بوشكين في عباءة عربية)، وحسن حميد عن الفرنسي جان ماري لوكليزيو، وتوفيق الأسدي عن أدب فلاديمير نابوكوف، ود. فؤاد عبد المطلب عن (حاجة العلم إلى لغة عالمية)، وحسام الدين خضور ترجم مقابلة مع الروائي البرتغالي (خوسيه ساراماغو).

وأخبار الآداب العالمية تناولت: آرنست همنغواي، ومارلون جيمس، والمتنافسين على جوائز الأطفال.

والنافذة الأخيرة للمجلة كانت للدكتور عبد النبي اصطيف، أما افتتاحية العدد فهي كلمة رئيس التحرير عدنان جاموس.

العدد الجديد من (الآداب العالمية) تحفة ثقافية عبق!

هل «الهيروغليفية والعربية لغة واحدة» ؟

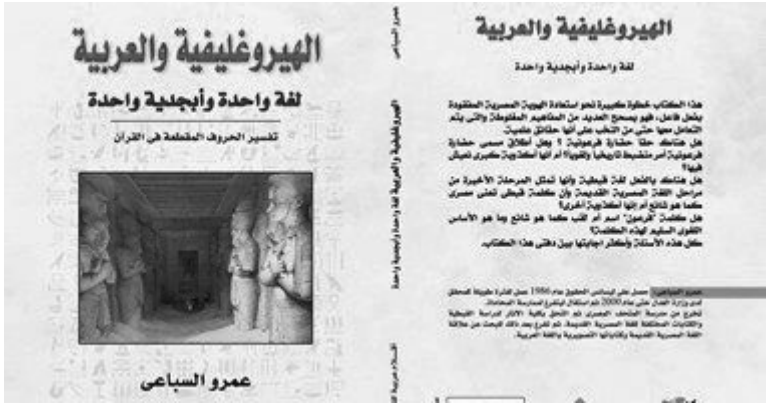

عن دار أقلام عربية للنشر والتوزيع صدر مؤخراً كتاب بعنوان "الهيروغليفية والعربية لغة واحدة وأبجدية واحدة"، للكاتب عمرو السباعي. يعرض الكتاب قراءة جديدة للكتابة الهيروغليفية، وذلك من خلال دراسة اللهجة المصرية العامية، كما أنه يصحح العديد من المفاهيم المغلوطة والتى يتم التعامل معها كحقائق علمية، كما يجيب الكتاب على العديد من الأسئلة منها: هل هناك بالفعل لغة قبطية تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل اللغة المصرية القديمة، وهل كلمة قبطي تعنى مصري كما هو شائع ؟، وهل كلمة "فرعون" اسم أم لقب كما هو متداول وما هو الأساس اللغوي السليم لهذه الكلمة؟.

مصعد الساعة الرابعة قصص ممسوسة بالدهشة

صدرت ضمن منشورات وزارة الثقافة في دمشق، مجموعة قصصية للكاتب الدكتور جرجس حوراني عنوانها (مصعد الساعة الرابعة) ضمت قصصاً عدة، من عناوينها: ثرثرة أقلام، بانتظار الآتي، الناقوس، كيف هرب الذئب الصغير، البطل، مشط أبو مورسي، أحلام مؤجلة، اختفاء زوجة سعيدة، نهاية قط شجاع، الدقائق الأخيرة، رسالة حب، ارتباك، الأسئلة الشيطانية...إلخ.

وقد جاء على غلاف المجموعة تعريف بها يقول:

قصص رائعة صافية مثل عين الديك، حبرّتها موهبة غنية مثل غابة، وأحاطت بها عينان رائيتان، وما شتها متعة آسرة.

كل شيء في هذه القصص يشير إلى جماليات تلفّها من جهاتها كافة، وإلى المعاني الثقال التي تستبطن الذات البشرية وهي رائجة تحت مفاعيل الألم مرة، وتحت رذاذ المودة الساحرة مرة أخرى. كما أنها قصص تجعل من أسطرها الشارقات مرايا ليرى القارئ صورته فيها مرة، وأحلامه مرة أخرى، قصص بعيدة في مراميها، راجّة في قرعها لبوابات القلب الذي جعل من الحب عالماً ملكياً لا شيء فيه سوى دنيا من المروج والسواقي والندى والأضواء والأفياء والدروب الحفية بأهل العشق، أهل المحبة.

جاءت المجموعة في حوالي ٢٠٠ صفحة ضمن الحجم الوسط وهي تأتي بعد مجموعتين للدكتور جرجس حوراني هما:

الخيول المسافرة، واليوم الأخير في حياة ذئب.

النشاطات الثقافية في فرع الاتحاد بالسويداء

يقيم فرع اتحاد الكتاب العرب في السويداء الأنشطة الثقافية الآتية في قاعة المحاضرات بالفرع:

- الثلاثاء ٠١/١٢/٢٠١٥ قراءات أدبية آ. ربيعة غانم - د. إحسان قنديل - أ. هيسم أبو سعيد بعنوان قراءات أدبية تقام في قاعة المحاضرات في الفرع الساعة الواحدة ظهراً
- الأربعاء ٠٢/١٢/٢٠١٥ محاضرة بعنوان حول أزمة الثقافة للأستاذ محمد رضوان في قاعة المحاضرات في الفرع الساعة الواحدة ظهراً
- الأحد ٠٦/١٢/٢٠١٥ قراءات أدبية للأستاذ شاهر عبيد والأستاذة وجدان أبو محمود في قاعة المحاضرات في الفرع الساعة الواحدة ظهراً
- الاثنين ٠٧/١٢/٢٠١٥ محاضرة بعنوان المبنى الحكائي في رواية سنة العصافير للأستاذ سيف الدين القنطار في قاعة المحاضرات في الفرع الساعة الواحدة ظهراً
- الثلاثاء ٠٨/١٢/٢٠١٥ محاضرة بعنوان أناتول فرانس: قضايا في سيرته وأعماله للأستاذ زياد العودة في قاعة المحاضرات في الفرع الساعة الواحدة ظهراً
- الأربعاء ٠٩/١٢/٢٠١٥ محاضرة بعنوان أمل دنقل ونساء القاع للدكتور ثائر زين الدين في قاعة المحاضرات في الفرع الساعة الواحدة ظهراً
- الأحد ١٣/١٢/٢٠١٥ قراءة أدبية للأستاذ سهيل أبو فخر والأستاذ جهاد الأحمدية والأستاذ إسماعيل ركاب في قاعة المحاضرات في الفرع الساعة الواحدة ظهراً
- الاثنين ١٤/١٢/٢٠١٥ محاضرة بعنوان الرثاء عند عبد المعين الملوحي وجرير للأستاذ نزيه الشوفي في قاعة المحاضرات في الفرع الساعة الواحدة ظهراً
- الثلاثاء ١٥/١٢/٢٠١٥ محاضرة بعنوان أبو حيان التوحيدي شهيد عصر وشاهد للأستاذ محمد طربيه في قاعة المحاضرات في الفرع الساعة الواحدة ظهراً

بيان اتحاد الكتّاب العرب حول تعليق بث (المنار) على (عرب سات)

يستنكر اتحاد الكتّاب العرب العقلية الظلامية التي تتعامل معها إدارة القمر الصناعي العربي (عرب سات) التي علّقت بث محطة (المنار) الفضائية لأسباب متعلقة بالثوابت الوطنية والقومية والعقائدية التي التزمت بها القناة منذ انطلاقتها الاولى.

ويأتي هذا الفعل الشائن بعد تعليق بث فضائية الميادين على قمر (عرب سات) لأنها فضائية لها هوية مقاومة.

إننا ندين ونشجب في اتحاد الكتّاب العرب مثل هذه الممارسة البربرية التي لا تحترم الآخر، ولا تؤمن به أصلاً، وندعو إلى محو الثقافة الظلامية، والتوجهات الجاهلية التي تتخذ بحق الإعلام المقاوم، ونهيب بالأدباء والمثقفين « أهل التنوير»، أن يفضحوا هذه الأفعال الناقصة لعرب (البترو دولار) الذين مضوا أكثر مما ينبغي في شوط الاستتباع والاستضباع.

وقفة تضامنية في دمشق مع الشاعر أشرف فياض

شارك إتحاد الكتاب العرب في الوقفة التضامنية التي دعت إليها وزارة الثقافة السورية مع الشاعر والفنان الفلسطيني أشرف فياض الذي حكم عليه بالإعدام في السعودية، وذلك أمام ممثلية الأمم المتحدة في مدينة دمشق.

وقد مثّل الإتحاد الدكتور نضال الصالح رئيس الإتحاد وعدد من الأدباء والكتّاب والمثقفين تأييداً لحرية الفكر والإبداع وشجباً لثقافة التجميل والتفسير والظلام.

تجدر الإشارة إلى أن حكم الإعدام بحق الشاعر أشرف فياض اتخذته الجهات السعودية مؤخراً، لاتهامه بمس الذات الإلهية، وهو ما يزال سجيناً لدى السلطات السعودية. علماً بأنه مقيم على الأراضي السعودية منذ سنوات.

آخر الكلام

•محمد حديفي

((مثلما يرحلُ السحابُ ارتحلتَ))

قال الفيلسوف الألماني"شوبنهور": ما حياة الإنسان في هذا الكون إلا ملٌ بين تثاؤبين..(حيث التثاؤب الأول حينما يخرج إلى الحياة ويبصر النور، والتثاؤب الثاني والأخير حينما يسلم الروح) ويكمل شوبنهور قائلاً... إن الإنسان يحاول أن يطيل أمد حياته هذه بكل حفنة ماءٍ يرتشفها، وكل جرعة هواء يستنشقها، إلا أنه كمن ينفخ في فقاعةٍ من الصابون، فهي تكبر وتكبر، ثم لا تلبث أن تنفجر وتتلاشى....

إذا كانت هذه المقولة تنطبق على الكثيرين.. فهي لا تنطبق على الراحل العزيز"باسم عبدو" فحياة باسم لم تكن مللاً، بل كانت حياة طافحةً بالتفاؤل وانتظار شروق الشمس، حياةً زاخرةً بالعمل والعطاء والإبداع، وحياةً بسيطة بعيدة عن التعقيد، وجهه الصبوح تجلله بسمةٌ هادئة، مشرقة، لا تكاد تفارقه، وروحه النقية المرحة تلقي التحية الودودة على كل من حوله لتشيع جواً من الفرح والإلفه والنقاء والسعادة في المكان...

لم يكن أبو شفيع يفكر بالموت أبداً، كان مقبلاً على الحياة بهمة رجل عركته التجارب، وصقلت موهبته تصاريف الأيام...، كان ابن لفلاح بسيط في قريةٍ نائية، يكسب لقمة عيشه بعرق جبينه، ويحرص أن تكون أسرته مستورة الحال، ومنعمةً بما تيسر من الرزق الحلال المنتزع عنوةً من قلب الزمن...

انحاز باسم منذ نعومة أظافره إلى الطبقة الفقيرة والكادحة من أبناء الوطن، وقد ترجم مبادئه سلوكاً انعكس إيجاباً على حياته في بعض الأحيان، وسلباً في بعضها الآخر حيث تعرض للكثير من الصعوبات في مساره اليومي إلا أنه واجه كل ذلك بإرادة صلبةٍ لا تقهر، وعزمٍ يرتكز إلى إيمان راسخٍ بحق الإنسان في حياة حرةٍ كريمة، وهو مدركاً بأن الإنسان هو الثروة الحقيقية في هذا الكون، وأن العمل بجدٍ واستقامة ومثابرة هو السبيل الوحيد للنهوض بالوطن والإنسان...

كان حاداً وصلباً وعنيداً في دفاعه عن قضايا الإنسان، وتراب الوطن، وكان لا يساوم في قضيةٍ تتعلق بسورية التي تأكد ومنذ الأيام الأولى لمحنتها بأنها مستهدفة من قوى الشر في العالم، فأدرك بفراسته أن ما تتعرض له سورية الآن لم يكن ليحدث لو أنها ساومت على مبادئها، ورضخت لإملاءات الغرب وأعوانه في المنطقة، وارتضت أن تكون تابعةً وتدور في فلك الذين يضعون مصالحهم فوق مصالح الشعوب، وأهدافهم المشبوهة فوق تطلعاتها وأحلامها في أن تعيش حرة وسيدة فوق ترابها الوطني...

رحل أبو شفيع صبيحة يوم انتظرته فيه كعادتي يومياً، رحل دون كلمة وداعٍ واحدة، رحل وفي جعبته الكثير من الحكايا الهادفة، والكثير من الأحلام التي لم تتحقق.... رحل ممسكاً بجمرة الحقيقة وقابضاً عليها... رحل ليترك في القلب غصةً، وفي العين دمعةً، وفي القلب جرحاً سيستمر سنوات وسنوات قبل أن يندمل...

سأظل أذكر سماحة وجهه، وابتسامته التي لا تفارق شفتيه، وسأظل أذكر أحاديث الود التي تقطر شهداً من فمه، وأذكر كيف أننا أعددنا معاً مشاريع عريضةً لخدمة الثقافة والمثقفين واضعين نصب أعيننا أن نقف على مسافةٍ واحدة من الجميع، ولن ننحاز إلا للإبداع في زمن كثر فيه المدعون، وضجت بعض المنابر بأنصاف المثقفين كي نستعيد المبدع الحقيقي الذي لم يجد أمامه وفي كثير من الأحيان سبيلاً غير الانكفاء...

يا أبا شفيع... كيف ارتضيت أن تأخذ قرارك منفرداً، وتحمل روحك وترحل؟! وكيف ستطيق العيش وحيداً، وأنت المسكون بحب الآخرين وفضيلة التعايش!! لمن ستسرد حكاياتك الجميلة المرسومة ألقاً فوق بياض الورق؟ ولمن ستشكو شظفاً بالعيش وشحاً بالمورد وضائقةً في ذات اليد؟!...

يا أبا شفيع... للأمس القريب كنا كظلين معاً، وكنت كلما صادفتنا معضلة تستخف بها وتقول لي: دع كل ما يعكر الصفو جانباً، وتابع المسير فالحياة كفيلة بحل العقد...

وها أنا الآن وبكثير من اللوعة والأسى وانكسار القلب أروض نفسي كي أصدق بأنني لم أستطع رؤيتك من جديد... فهل تصدق بأنني حتى الآن لم أغير طريقي اليومي المعتاد على أمل أن أجدك بانتظاري لنذهب معاً إلى مبنىً كان يضمنا لوقت طويل؟ وحين نعود نعود معاً أيضاً، وحين تترجل لتتابع المسير أظل أرقبك لتحظى بحافلةٍ تقلك إلى حيث منزلك، إلى أن تلوح بيدك في إشارة تعني إلى اللقاء غداً...

يا صديقي فجيعتي بك كبيرةٌ، وفراقك مر وصعب، فعلى مرمى القصيدة والبوح ستبقى، وللجراح النازفة التي خلفها رحيلك في القلب بعضٌ من مطرٍ يهطل فوق ثنايا الروح علها تدمن فراقك يوماً... فيا أيها الراحل كما يرحل السحاب وداعاً....

mouhammad.houdaifi@gmail.com

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول: د.نضال الصالح
رئيس اتحاد الكتاب العرب
مدير التحرير: د.حسن حميد
الإشراف الفني: نضال فهيم عيسى

رئيس التحرير: محمد حديفي
رئيس القسم الفني: مها حسن

هيئة التحرير:
توفيق أحمد - سوزان إبراهيم -
عدنان كنفاني - علي المزعل -
مراد كاسوحة - د. ممدوح أبوالوي